بسم الله الرحمن الرحيم

أنوار المنان
فى سيدة آى القرآن
﴿ آية الكرسى ﴾

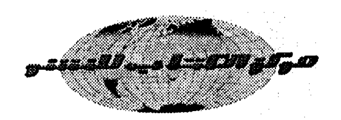
الأستاذ الدكتور

أحمد عبده عوض

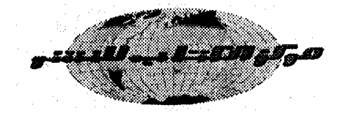
الأستاذ

عنتر الروينى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م



الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م



مصـر الجديـدة: ٢١ شـارع الخليفـة المأمـون - القاهـرة
تليفـون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكـس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

[البقرة : ٢٥٥]



مقدمة

الحمد لله رب العالمين جعل القرآن العظيم شفاءً لما فى الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين ، وسيد الخلق أجمعين، سيدنا محمدﷺ نور الكمال ، ومهبط الأنوار ، وملتقى الأسرار ، وعلى آله وأصحابه المتقين الأخيار ، وآل بيته الكرام الأبرار.

أما بعد ،،

فإن الله تعالى جعل فى القرآن العظيم علم الأولين والآخرين، فمن جمع القرآن وعلمه فقد أدرجت النبوة بين جنبيه ؛ فأنت فى ساحة ربيع القلوب وغذاء الأرواح والنور المبين والشفاء النافع والذكر الحكيم والصراط المستقيم الذى فيه غذاء للمتلهفين ، وغوث للمستغيثين ، ورى للظامئين.

ولذا فإن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ، وأن الله لا يعذب قلباً هو وعاء للقرآن.

وقد قال عمرو بن العاص : «كل آية فى القرآن درجة فى الجنة ومصباح فى بيوتكم» . .

قال محمد بن كعب القرظى : « من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله ، وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذى كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ، ولذلك قال بعض العلماء : هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها فى الصلوات ، ونقف عليها فى الخلوات وننفذها فى الطاعات والسنن المتبعات ، وكان مالك بن دينار يقول: « ما زرع القرآن فى قلوبكم يا أهل القرآن؟».

وكما أن الغيث ربيع الأرض فإن القرآن ربيع المؤمن ، وها نحن نتأمل فضل القرآن من القرآن فهو كتاب مبارك ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[ص: ٢٩].

وهو البرهان والنور : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾[النساء: ١٧٤].

وهو البشرى للمسلمين : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل: ٨٩].

وهو الفرقان الذى جعله الله نذيراً: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[الفرقان: ١].

وهو أحسن الحديث: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾[الزمر: ٢٣].

وهو الذى لا عوج فيه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾[الكهف: ١].

هو الذى يهدى إلى الحق: ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الأحقاف: ٣٠].

وهو الذى يخرج الله تعالى الناس به من الظلمات إلى النور: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[إبراهيم: ١].

لأجل هذا فإن للقرآن الكريم جلاله وقدرته وعظمته وأنواره وهداه، وهو الذى خشعت الجن عندما استمعوا إليه، وتخشع الجبال إذا أُنزل عليها.

أما قلوب المؤمنين فإنها تزداد به نوراً وهداية : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[الأنفال: ٢].

وعندئذ فإن الذى يقرأ القرآن العظيم متدبراً فيه، متأملاً فى مواطن إعجازه، خاشعاً فى محراب نوره، يوفيه الله أجره ويزيده من فضله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[فاطر :٢٩، ٣٠] .

هذه التجارة الرابحة المؤكد ربحها التى لا تقبل الخسارة ترتفع قيمتها إذا كان الإنسان حفياً بكتاب الله تعالى؛ متأملاً فيما يقرأ، متدبراً فيما يستمع ، عندئذ فهو يستجيب لداعى الرحمن.

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾[النساء : ٨٢] .

هذا التدبر لا يتأتى إلا لمن كان له قلب يستبصر ويتعقل : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق : ٣٧] .

وعندئذ فإن الأحياء بقلوبهم هم الذين أولاهم الله نوراً للتبصر بكتابه ولا تتأتى هذه الحياة إلا من خلال فائدة القرآن العظيم فإذا ما طرق القرآن مسامع قلبك ، واخترق شغافه ؛ عندئذ تمثلت قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾[يس : ٧٠] .

وعندما تتفتح أفاق النور أمام هذا القلب المؤمن؛ فقد انكشفت عنه الظلمات، وذهبت عنه الأقفال ، عندئذ تجده مفتوحاً لإشراقات النعيم القرآنى فترتفع به آية واحدة عاش معها وعاش بها إلى أعلى عليين ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد : ٢٤] .

هذه الدعوة القرآنية لنا ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ﴾ فى سورتى النساء ومحمد؛ نحاول تمثلها والاستجابة لها من خلال هذه المعايشة التى استمرت قرابة العامين لآية الكرسى، حتى آفاء الله علينا وأخذنا فى الكتابة حول أنوارها، وأسرارها؛ فكان عطاء الله لنا عظيماً.

ويقف المرء فى حالة من التأمل المقرون بالتعجب والدهشة الممزوجة بالروعة أمام آية الكرسى، وما اشتملت عليه من بيان قرآنى فريد، جعلها سيدة آى القرآن العظيم.

وقبل أن نأخذ فى ذكر المنهج الذى اتبعناه فى التعامل مع هذه الآية الكريمة؛ فإننا فى حاجة إلى أن نبحث عن سر تميز هذه الآية الكريمة ، وقد أوضحنا فى مقدمة هذا الكتاب فضل آية الكرسى.

ثم يبدو لنا الآن جانب جديد فى فضل هذه الآية، وهى أنها وردت فى سورة فريدة عظيمة هى سورة البقرة؛ فهل تجد ربطا بين سورة البقرة وبين آية الكرسى؟

ليس خافياً عليك أن سورة البقرة كما أخبر المعصوم ﷺ لها خصوصية خاصة اقرأ معنا فى هذا الحديث الشريف الذى يوضح لنا فضل سورة البقرة وعلاقتها بآية الكرسى.

عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال:« **البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً واستخرجت (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة، ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له .. واقرؤها على موتاكم**» [رواه أحمد].

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :« **لكل شىء سنام وأن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هى سيدة آى القرآن آية الكرسى**» [رواه الترمذى].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:« **لا تجعلوا بيوتكم قبوراً فإن البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان**» [رواه أحمد].

وعن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: «**ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة إلا خرج منه الشيطان وله ضراط**[1]» [رواه أحمد].

---

(١) ضراط : عويل وصراخ.

ويتأكد من جملة أحاديثه ﷺ أن سورة البقرة مانعة من دخول الشيطان إلى المنزل وذلك لفضلها أولاً ثم لاختصاص بعض آيات منها بفضل مفضل مخصوص، وهذا ما يؤكده قول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : « **من قرأ عشر آيات من سورة البقرة فى ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان ذلك الليلة**».

وهى :

* أربع من أولها، وآية الكرسى، وآيتان بعدها وثلاث آيات من آخرها.

وعندئذ فإن سورة البقرة تطرد الشيطان من المنزل وآية الكرسى تحافظ على الإنسان من الشيطان عندئذ فإنهما حرزان فى حرز واحد، وهذا الحرز بقدر ما إنه يطرد الشياطين فإنه يستحضر الملائكة، وهذا ما ورد فى الإمام البخارى عن أسيد بن حضير رضى الله عنه قال: (بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة - وفرسه مربوطة عنده - إذ جالت الفرس فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها، فأشفق أن تصيبه فلما أخذ رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها).

فلما أصبح حدث النبى ﷺ فقال« **اقرأ يا ابن حضير**» قال قد أشفقت يا رسول الله على يحيى وكان منها قريباً فرفعت رأسى، وانصرفت إليه فرفعت رأسى إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال: «**وتدرى ماذا بك؟**».

قال : لا ، قال: « **تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم**»[رواه البخارى].

فكما أن سورة البقرة لها نور خاص بها هذا النور بقدر ما هو معنوى وتحصينى للمسلم فهو نور محس للعيان فعن جابر بن زيد أن أشياخ أهل المدينة أن رسول الله ﷺ قيل له : ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة تظهر مصابيح فقال: «**فلعله قرأ سورة البقرة**» . . قال: فسألت ثابتاً فقال: قرأت سورة البقرة.

مما تقدم يبدو جلياً فضل سورة البقرة، وإنها إنما جاءت آية الكرسى فيها إلا لكونهما معاً يفضيان إلى غاية واحدة هى التى ذكرتها الأحاديث الشريفة، وليس يخفى عليك أن آية الكرسى جزء من الأم الكبرى وهى سورة البقرة فقد خرجت من أنوارها ، وتوسطت آياتها، ولذا تجد شبهاً قوياً فى دلالة سورة البقرة وآية الكرسى فى الجوانب المتصلة بصفاء العقيدة وتنزيه الله تعالى وبيان ملكه وعظمته ، وبيان رعايته لكونه وخلقه، وبيان سمات علوه وعظمته.

وقد هدانا الله تعالى إلى تناول آية الكرسى بعد طول معايشة لها ولكلماتها وحروفها وترتيبها ودلالات التوحيد بها. . وفى سبيل الغوص فى أعماقها والولوج فى أسرارها والحماية فى ظلالها والاغتراف من معينها آفاء الله علينا بكتب التفاسير القديمة التى عرجت حولها، وحلقت فى آفاقها فأخذنا منها منهلاً عذباً؛ حتى أينعت وأثمرت أفكاراً جديدة فكأن البناء مؤسساً على نماذج تبين إبداعات الأقدمين واجتهادات المعاصرين.

وقد قسمت المعالجة إلى عشرة مباحث يتناول كل مبحث منها جملة خبرية أو إنشائية وفق تسلسل كلمات الآية الكريمة على النحو التالى:

فى المبحث الأول : عرضنا للتوحيد معناه وأهميته وأثره فى حياة المسلم من خلال قوله تعالى ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

أما المبحث الثانى : فقد تناول معنى قوله تعالى ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ببيان دلالتهما الإيجابية وأثرهما فى حياة المسلم.

وأما المبحث الثالث : فقد تناول علاقة النوم بالحياة ﴿الْحَيُّ﴾ وعلاقة النوم بالقيومية ﴿الْقَيُّومُ﴾ ، ومظاهر ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ فى ملكه تعالى.

وأما المبحث الرابع : فقد أوضح كمال ملكه تعالى وعظمته فى الدنيا والآخرة من خلال قوله تعالى ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ .

ثم تناول المبحث الخامس : قضية الشفاعة وأقسامها من خلال قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ .

ثم تناول المبحث السادس : علم الله ما بداخل الإنسان وما خلفه وكل شيء: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ .

ثم عرج المبحث السابع : إلى صفة الإحاطة للَّه تعالى من خلال قوله عز وجل: ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾ .

وأما المبحث الثامن : فقد تناول صفة الكرسى من خلال قوله عز وجل ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ .

وفى المبحث التاسع : أخذتنا الآية إلى مفهوم الحفظ والحماية من الله تعالى لنا من خلال قوله تعالى: ﴿ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ .

وأما المبحث العاشر :فقد أوضحنا مدى ارتباط صفة العلو بالعظمة للَّه تعالى وهذا من خلال قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ .

ولأن العمل البشرى لا يخلو من قصور وتقصير فليس خافياً أن علم الله تعالى أوسع من أن نحيط به وأن القرآن العظيم لا يستطيع أن نوفيه قدره اللائق بكونه كلام رب العالمين.

وما قدمناه من اجتهادات هنا إن هى إلا جهد المقل المتواضع الذى يرجو من الله تعالى السداد والعون، ونرجو فقط أن يعفو الله عنا بما كتبناه، وأن يثقل به موازين حسناتنا يوم نلقاه، وأن يبيض وجوهنا عند الموقف العظيم.

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم، وانفع به اللهم المسلمين وزدنا بالقرآن نوراً وتثبيتاً وهداية وصلاحاً ورشاداً وفتحاً وتوفيقاً وعزاً وقرباً منك، ومحبة لحبيبك النبى ﷺ وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ عدد أوراق الأشجار ومثاقيل البحار، وذرات الرمال، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار.

فضل آية الكرسى

آية الكرسى سيدة آى القرآن وأعظم آية، ونزلت ليلاً ودعا النبى ﷺ زيداً فكتبها، روى عن محمد بن الحنفية أنه قال: لما نزلت آية الكرسى خرّ كل صنم فى الدنيا، وكذلك خرّ كل ملك فى الدنيا وسقطت التيجان عن رءوسهم، وهربت الشياطين يضرب بعضهم على بعض إلى أن أتوا إبليس فأخبروه بذلك فأمرهم أن يبحثوا عن ذلك، فجاءوا إلى المدينة فبلغهم أن آية الكرسى قد نزلت، وروى الأئمة عن أُبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ: **« يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم؟»** . . قال: قلت : الله ورسوله أعلم: قال: **« يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم؟»**، قال: قلت: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ . فضرب فى صدرى وقال: **« ليهنك العلم يا أبا المنذر»** ، زاد الترمذى الحكيم أبو عبدالله : **«فوالذى نفسى بيده إن لهذه الآية للسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش»**، قال أبو عبدالله : فهذه آية أنزلها الله جل ذكره، وجعل ثوابها لقارئها عاجلاً وآجلاً، فأما فى العاجل فهى حارسة لمن قرأها من الآفات، وروى لنا عن نوف البكالى أنه قال: آية الكرسى تدعى فى التوراة ولية اللّه، يريد يدعى قارئها فى ملكوت السموات والأرض عزيزاً، قال: فكان عبدالرحمن بن عوف إذا دخل بيته قرأ آية الكرسى فى زوايا بيته الأربع، معناه كأنه يلتمس بذلك أن تكون له حارساً من جوانبه الأربع، وأن تنفى عنه الشيطان من زوايا بيته، وروى عن عمر أنه صارع جنياً فصرعه عمر رضى الله عنه، فقال له الجنى: خل عنى حتى أعلمك ما تمتنعون به منا، فخلى عنه وسأله فقال: أنكم تمتنعون منا بآية الكرسى.

وفى الخبر : من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة كان الذى يتولى قبض روحه ذو الجلال والإكرام، وكان كمن قاتل مع أنبياء الله حتى يستشهد، وعن على رضى الله عنه قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: وهو على أعواد المنبر **« من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو**

عابد، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله» ، وفى البخارى عن أبى هريرة قال: وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، وذكر قصة وفيها: فقلت يا رسول الله، زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله ، قال: « **ما هى**»؟ قلت قال لى: إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ ، وقال لى: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شىء على الخير ، فقال النبى ﷺ :« **أما إنه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة**»؟ قال: لا ؛ قال: «**ذاك شيطان**».

وفى مسند الدارمى أبى محمد قال الشعبى قال عبدالله بن مسعود : لقى رجل من أصحاب محمد ﷺ رجلاً من الجن فصارعه فصرعه الإنسى، فقال له الإنسى: إنى لأراك ضئيلاً شخيتاً كأن ذريعتك ذريعتا كلب فكذلك أنتم معشر الجن، أم أنت من بينهم كذلك؟ قال: لا والله! إنى منهم لضليع ولكن عاودنى الثانية فإن صرعتنى علمتك شيئاً ينفعك، قال: نعم، فصرعه، قال: تقرأ آية الكرسى: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ قال: نعم؛ قال: فإنك لا تقرأها فى بيت إلا خرج منه الشيطان له خبج كخبج الحمار ثم لا يدخله حتى يصبح. وعن الشعبى عن عبدالله قال: فقيل لعبد الله: أهو عمر؟ فقال: ما عسى أن يكون إلا عمر! . . قال أبو محمد الدارمى: الضئيل: الدقيق، والشخيت: المهزول، والضليع: جيد الأضلاع، والخبج، الريح، وقال أبو عبيدة : الخبج: الضراط، وهو الحبج أيضاً بالحاء.

وفى الترمذى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **من قرأ حم -المؤمن- إلى إليه المصير وآية الكرسى حتى يصبح حفظ بهما حتى يمسى ، ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح**» قال: حديث غريب، وقال أبو عبدالله الترمذى الحكيم: وروى أن المؤمنين ندبوا إلى المحافظة على قراءتها دبر كل صلاة.

عن أنس رفع الحديث إلى النبى ﷺ قال:« **أوحى الله إلى موسى عليه السلام من داوم على قراءة آية الكرسى دبر كل صلاة أعطيته فوق ما أعطى الشاكرين وأجر النبيين وأعمال الصديقين وبسطت عليه يمينى بالرحمة ولم**

يمنعه أن أدخله الجنة إلا أن يأتيه ملك الموت» قال موسى عليه السلام: يا رب من سمع بهذا لا يداوم عليه؟ قال: **«إنى لا أعطيه من عبادى إلا لنبى أو صديق أو رجل أحبه أو رجل أريد قتله فى سبيلى»**، وعن أُبى بن كعب قال: قال الله تعالى: **« يا موسى من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة أعطيته ثواب الأنبياء»** قال أبو عبدالله: معناه عندى أعطيته ثواب عمل الأنبياء .. فأما ثواب الأنبياء فليس لأحد إلا للأنبياء.

وهذه الآية تضمنت التوحيد والصفات العلا، وهى خمسون كلمة، وفى كل كلمة خمسون بركة، وهى تعدل ثلث القرآن.

وسميت آية الكرسى لارتفاعها ، لأن الآية هى العلامة الظاهرة وآية الكرسى هى أظهر آية فى القرآن الكريم، رفعها الله سبحانه عالياً، بأولها باسم الله، وبآخرها باسمه العلى العظيم، لأن آية الكرسى هى أظهر آية تدل على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وإن كل جملة من القرآن تدل على حكم، فهى آية، وآية الكرسى هى الدالة على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وهى آية تؤدى إلى غاية، وهى للتوحيد راية.

تلخيص فضل آية الكرسي

١ - تعادل ربع القرآن العظيم ، ولها لسان وشفتان تقدس الملك عند ساق العرش.

٢ - سيدة آى القرآن وأعظم آية، واشتملت على التوحيد كله، وورد بها ما يدل عليه تعالى فى ثمانية عشر موضعاً. .

٣ - حرز من الشيطان، وعروة وثقى ، وتُخْرِج الشيطان من المنزل، وتبعده عمن يحافظ على تلاوتها.

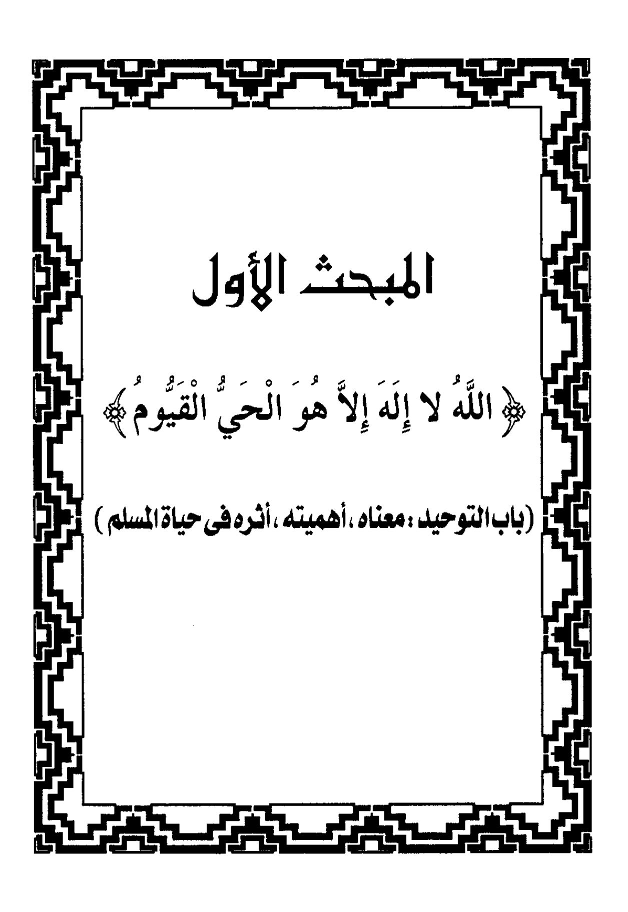
٤ - اشتملت على اسم الله الأعظم الذى إذا دُعى به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى.

٥ - بدأت بالتوحيد الذى هو أساس الإيمان ، وأفضل الذكر ، وشهادة أهل الحق.

٦ - كلما قرأها المسلم زاد نوراً بها ، وتقرباً إلى الله تعالى، وحفظه الله بها، فلها شرف علوى وهى أعلى الكلام، وختام الصلاة ، ونور اليقين ، وجمعت الأسماء الحسنى الجليلة لله تعالى.

اللهم اجعلنا عليها من المحافظين ، واجعلنا بها من المحفوظين ولأنوارها من المهتدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



المبحث الأول

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾

(باب التوحيد: معناه، أهميته، أثره في حياة المسلم)



﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾

إن هذه الآية الكريمة هى آية الكرسى والكرسى هو أساس الحكم وهو رمز الملك.

والأساس هنا فى هذه الآية الكريمة هو التوحيد، وأن حكم الله سبحانه وتعالى مستحق له دون غيره بالتوحيد الذى سنعرفه من خلال هذه الآية الكريمة التى هى أساس سليم من الوحدانية ، ومن العلم الذى لا يحيط به أحد إلا الله وإذا كان قولنا (لا إله إلا الله) هى شهادة منا بالتوحيد الخالص للَّه سبحانه وتعالى الذى هو أساس الإيمان باللَّه فإن قول الله سبحانه وتعالى فى أول آية الكرسى هو تقرير من اللَّه بأنه سبحانه وتعالى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .

ونلاحظ أننا نبدأ فى شهادة التوحيد بنفى الآلهة بقولنا «لا إله» ثم نثبت الألوهية لله وحده بقولنا «إلا اللَّه» ولكن الله سبحانه وتعالى هنا يبدأ بالإثبات ويقول سبحانه «اللَّهُ» ثم ينفى ما يقال أن هناك إلهاً غيره فيقول تعالى : ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ .

وذلك لأن قولنا نحن لا إله إلا الله فيه نفى جميع الآلهة بقولنا «لا إله» يعنى لا وجود لأى إله يستحق العبادة إلا اللَّه هو الذى يستحق العبادة وحده لا شريك له ونفهم من ذلك أن كلمة التوحيد بالنسبة لنا فيها نفى فى أولها ثم إثبات يعنى فيها تخلى أولاً عن الكفر وعن الشرك ننظف به القلب من جميع الآفات وذلك لكى توضع كلمة الله على أساس صحيح طاهر خالٍ من الدنس.

لأن نور الله إذا وضع فى قلب العبد بعد نظافته فإنه يلتصق به التصاقاً لا ينفصل بعده أبداً ثم تكبر هذه البذرة النورانية فى قلب المؤمن؛ حتى تصبح شجرة طيبة مثمرة أصلها ثابت بقوة فى القلب وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين.

وثمار الكلمة هنا هى العلوم النافعة والأخلاق الطيبة والأعمال الصالحة.

وكلمة لا إله إلا الله فيها تخلى عن الشرك ثم تحلى بالإيمان ومحصلة المعنى يعنى الصراط المستقيم الذى جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[يس: ٦٠].

ومن هنا فإن توحيد المؤمن هو قوله «لا إله إلا اللّه» وهذا القول أوله نفى لتطهير النفس من الشرك ثم إثبات الألوهية للّه أما قول الله عن التوحيد يختلف فى ترتيب الكلمات فهو سبحانه وتعالى وحّدَّ نفسه فى أول آية الكرسى بقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾.

ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى ذكر اسمه أولاً فى الآية الكريمة دون أن يسبقه نفى الآلهة ودون تأكيد ذلك لأنه لا يحتاج إلى النفى بقوله (لا إله) مثلنا ولكنه بدأ باسم الله ليكون هذا الاسم المبارك هو المبتدأ المرفوع حقيقة وإعراباً فالله مرفوع القدر والشرف بذاته، وهو العلى الأعلى من الأزل وكان الله ولا شىء معه ولم يزل كائناً ولذلك فقد ذكر اسمه دون أن يسبقه بالنفى؛ لأنه سبحانه هو المتكلم وهو الأول الله لا إله إلا هو الحى القيوم والآخر العلى العظيم.

ولذلك فإن اسم الله فى بداية الآية الكريمة هو مرفوع فى الإعراب ليناسب ذلك فى كونه مرفوع القدر، عالى الشرف، ومن حكمة الله العلية وأنواره القدسية فقد ختم آية الكرسى بالشرف والعلو للّه سبحانه وتعالى أيضاً بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾.

وبذلك يكون اسم الله فى البداية له الشرف والعلو، وفى النهاية له العلو والعظمة.

نستنتج من ذلك سر علو ورفعة هذه الآية الكريمة آية الكرسى عن غيرها من الآيات.

ذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد رفعها من طرفيها بداية ونهاية، وذلك بفضل اسم الله المبتدأ المرفوع فى أولها، وكذلك بفضل اسمه العلى العظيم فى آخرها.

وبذلك زاد فضلها وشرفها العالى على كل آيات القرآن الكريم فرفعها الله سبحانه وتعالى ، ورفع معها كل من استمسك بها وكل من تعلق بها وحفظها فحفظته ورفعته معها إلى أعلى مقام، واسمى منزلة.

وبداية آية الكرسى باسم ﴿ اللَّهُ ﴾ هى بداية فيها روعة وجمال وبداية تدل على أننا يجب أن نؤمن بالله الواحد الأحد الفرد الصمد قبل كل شىء وقبل أى شىء، ويكفى المؤمن الحق أن يسمع من الحق كلمة ﴿ اللَّهُ ﴾ ليجد صداها يتردد فى قلبه نغمات إيمانية وإشراقات نورانية تشهد أنه لا إله إلا هو الحى القيوم، ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أنه جعل هذه الآية الكريمة صغيرة الحجم لكنها قوية الآثر، وصغر عدد كلماتها جعلها سهلة ميسرة للجميع، يسهل حفظها حتى أن الأُمِّى مع تكرار سماعها يتمكن من حفظها ولأنها هى السلاح الفتاك ضد الشيطان فقد جعلها الله سهاماً نارية سريعة الدفاع عن صاحبها ، أما لو كانت كبيرة الحجم لتعذر على كثير من الناس حفظها ولكنها من رحمة الله تعالى جعلها مباحة لكل الناس لأنها هى الدواء الضرورى لكل إنسان لشفائه من الشرك وهى الدواء الذى يمنح كل إنسان صحة التوحيد الذى هو أساس الدين وقد لاحظنا أن أول سورة البقرة فيه القصص ثم التشريع ثم بعد ذلك جاء لنا سبحانه وتعالى بأساس الدين وهو التوحيد فى آية الكرسى ليكون التوحيد هو القاعدة القوية التى يبنى عليها كل البناء الإسلامى.

وبعد ذلك نتعلم أن قدرته تعالى لا حدود لها، ولا سلطان غيره فى الأرض ولا فى السماء قد وسع جهده ووسع علمه ووسع كرسيه السماوات والأرض أى أنه سبحانه وتعالى هو القادر على حفظ السماوات والأرض ولا يتعبه ذلك، ولا يتعاظم عليه شىء لذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ .

فهو سبحانه وتعالى حفظ الأرض بالجبال، وحفظ السماء بالميزان، وحفظ الإنسان بالملائكة وبالإيمان وبتلاوة آية الكرسى فهى لذلك كله آية الحفظ.

فإذا أفاض الله عليك بفضل آية الكرسى فأنت قد أصبحت من الذين أنعم الله عليهم؛ لأنك بهذا التوحيد وبهذا الأساس القوى يسع جهدك تحمل مسئولية

التكاليف الشرعية وتتحمل الجهاد وتتحمل ما يلقى عليك من مسئوليات ولا يتعبك أى أمر من الله بل تتحول عندك مسئولية العبادة إلى سعادة.

وهذا ما جعل لهذه الآية الكريمة الأهمية الكبرى والفائدة العظمى ولذلك عندما كان يحين موعد الصلاة يقول النبى ﷺ، لبلال أرحنا بها يا بلال يعنى أرحنا بالصلاة يا بلال ولم يقل أرحنا منها يا بلال ذلك لأن التكاليف الشرعية فيها راحة لكل موحد بالله سبحانه. إن الله سبحانه وتعالى قد بدأ آية الكرسى باسمه وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ ﴾.

وكلمة الله هى علم على الذات يعنى هى الكلمة التى تشير إلى الذات الإلهية التى هى فى سر السر وغيب الغيب ولكننا لما قلنا يا ربنا العظيم إنا نؤمن بك غيبا ولكن إذا أردنا أن نناديك أو نناجيك، أو نستعين بك فبأى اسم ترضاه لندعوك به فقال سبحانه وتعالى قبل أن نسأل: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[الإسراء: ١١٠].

ولله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحدة .. كما جاء فى الحديث الشريف:

حدثنا على بن أبى عبدالله حدثنا سفيان قال حفظناه من أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رواية .. قال: «**لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحدة لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر**» [أخرجه البخارى - كتاب الدعوات].

والمقصود هنا بالحفظ هو المحافظة على ما يدعو إليه كل اسم من الأخلاق الكريمة والخصال الحميدة.

فإذا أردت أن تحفظ اسم الله الكريم فكن كريماً سخياً.

وإن أردت أن تحفظ اسم الله الرحيم فكن رحيماً بنفسك، واجعلها مؤمنة نقية يدخلك الله جنته العلية. وكن رحيماً بكل الناس فمن لا يرحم لا يرحم، وإن حفظت أسماء الله حفظتك.

أما ما ذكر فى الحديث الشريف أن الله سبحانه وتر يحب الوتر فسبحانه وتعالى وتر لأنه لا يحتاج أن يشاركه أحد فى الحكم لأن الشفع هو انضمام القوى إلى الضعيف لمساعدته أو انضمام الغنى إلى الفقير، والشفيع هو الذى ينضم إلى غيره لمساعدته وركعات الشفع فى الصلاة تسمى بذلك لأن فيها ركعة تنضم إلى ركعة أخرى.

ولقد شغلنا الله بجمال أسمائه الحسنى لكى لا نفكر فى ذاته سبحانه وتعالى وقيل إن كل ما خطر ببالك فالله أعلى وأعظم من ذلك فهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شىء ولذلك يعلمنا الله سبحانه وتعالى أن له ما فى السماوات وما فى الأرض، وذكر لنا اللّه سبحانه وتعالى فى آية الكرسى الأسماء الحسنى التى لا يشترك معه أحد فيها، وهى الحى القيوم والعلى العظيم.

﴿ اللَّهُ ﴾

إن فى هذا الاسم المبارك الألف إذا غابت تقول باقى الكلمة.

﴿ لِلَّهُ ﴾

وإذا غاب فى الكلمة اللام الأولى أصبحت الكلمة تشير أيضاً إليه سبحانه وتعالى.

﴿ لَهُ ﴾

وحتى لو غابت عن الكلمة اللام الثانية أصبح باقى الكلمة تشير إلى الله سبحانه وتعالى وأصبح الاسم.

﴿ هُوَ ﴾

وهذا هو الاسم الذى ذكره الله فى آية الكرسى وقال سبحانه وتعالى:

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾

ولو غابت كل حروف كلمة الله أصبح الله هو الغيب والذى أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ....﴾[البقرة: ٣].

وإن اسمه سبحانه وتعالى وهو: ﴿اللَّهُ﴾ يتميز بالتفرد لأنه لا يسمى به أحد، ولا يتطاول أحد أن يسمى نفسه الله (هل تعلم له سميا).

ويتميز بأن جميع أسماء الجلال والجمال والكمال قد خرجت منه وهذا الاسم المبارك تفرد فى وحدانيته سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته على كل ما يدعون من آلهة.

ففى قوله تعالى: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ قضى بها نهائياً على أكذوبة الأصنام، وفى قوله تعالى: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ قضى على فكرة أن يكون من البشر إله لأنهم مهما وصلوا من القوة فإنهم ينامون بل ويغطون فى نومهم فيأخذهم النوم بعيداً عن رعاية رعيتهم بل يأخذهم عن مصالح العباد والبلاد وأكثر من ذلك يأخذهم النوم بعيداً عن أنفسهم فيكون الواحد منهم تحت رحمة غيره من الإنس والجن والوحوش المفترسة.

ومع أن الله سبحانه وتعالى له جميع الأسماء الحسنى إلا أنه من حكمته سبحانه قد اختار فى آية الكرسى الأسماء التى تتميز بالتفرد بالحياة والقيومية؛ ليقضى بها على صفات الأصنام التى ليس بها أدنى حياة.

فباسم الحى القيوم قضى على الأصنام، وقضى على ملوك البشر بقوله لا تأخذه سنة ولا نوم وهذه الأسماء والصفات لا يملكها غير الله.

نستنتج من ذلك أن الله هو الذى لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذة سنة ولا نوم. وأن حياة الله سبحانه وتعالى هى حياة ذاتية لا تنتهى بنوم أو موت ، وهذا ما يمكنه سبحانه القيام بقوة على ملكه.

فهو لا إله إلا هو الذى له كل صفات الكمال والجمال والجلال ولا وجود لأحد معه والدليل على ذلك أننا نرى أن حركات الكون تسير بنظام محكم وميزان دقيق موحد بيد الله وحده ولو كان معه آلهة كما يقولون لوجدنا أن الكون أصبح فوضى تحقيقا لقول الله تعالى:

﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً ﴾[الإسراء: ٤٢، ٤٣].

إن الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة يثبت لنا بالمنطق السليم أن هذا الكون الذى يسير بدقة بالغة لو كان يحكمه أكثر من إله لحصل بينهم المعارك التى كان من نتيجتها خراب الكون كله واختلاف حركته.

ولكن الله سبحانه وتعالى تنزه عما يقولون وهو العلى العظيم ونلاحظ أن نهاية آية الكرسى كان ختامها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾.

فالعلو هنا مطلوب فى كل آيات التوحيد لأنه يدل على البعد إلى أعلى والترفع عن كل ما يدعون أو ما يقولون فاللَّه هو العلى قدراً ومكانة لا علو فقط فسبحانه خالق المكان والزمان.

وآية الكرسى بما فيها من توحيد فهى فرصة ذهبية لتنظيف القلب من كل شىء ما عدا الله سبحانه وتعالى.

وقد بدأ الله آية الكرسى بالتوحيد الخالص لله وجاء لنا بأسمائه التى فيها قمة التفرد والتوحيد الذى هو للَّه دون غيره.

كاسمه الحى القيوم الذى لا يشترك مع الله فيه أحد ولم يأت الله لنا باسمه الرحيم أو الغفور لأنه من الممكن أن يكون الإنسان رحيماً أو غفوراً.

وهذا سر ذكره سبحانه وتعالى لأسمائه التى فيها توحيد خالص وليس لأحد غيره فيها نصيب وذلك لإظهار وحدانيته سبحانه.

وآية الكرسى بما فيها من توحيد حقيقى يدفعنا ذلك إلى أن نعبد الله الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وإن التوحيد يظهر لنا فى قول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾.

إن آية الكرسى كل ما جاء فيها هو مدح لله سبحانه وتعالى، وذلك لأنه قد علم أننا لا نقدر على مدحه فمدح نفسه بنفسه ومدح ذاته بذاته وقال آية الكرسى لأنه

سبحانه وتعالى يحب المدح والثناء عليه وخذ مثلاً قول النبى ﷺ فى الحديث الشريف: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى وائل عن عبدالله رضى الله عنه قال قلت : أنت سمعت هذا من عبدالله ؟ قال: نعم ورفعه.

قال: «**لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدحة من الله فلذلك مدح نفسه**» [أخرجه البخارى - كتاب التفسير].

وإن حب الله سبحانه وتعالى للمدح والثناء يجعلنا نحرص على تكرار قراءة آية الكرسى لأن فيها مدحاً للّه ولوحدانيته ليحول الله المسلم من مدحه للخلق إلى مدحه سبحانه وحده لا شريك له ليكون الثناء فى محله وفى مكانه الحقيقى.

وفى آية الكرسى نجد فيها علو الله وعظمته علو قدرة ومنزلة لا علو مكان.

فاللهم ذهلت العقول وانحصرت الأفهام وبعدت الخواطر وقصرت الظنون عن إدراك كنه ما ظهر من مبادئ عجائب أنواع قدرتك دون البلوغ إلى تلألؤ بروق شروق أسمائك وصفاتك يا على يا عظيم .

ولأنه سبحانه وتعالى هو العلى العظيم لذلك وجب علينا أن نسبحه ونحن فى السجود بقولنا سبحان ربى الأعلى لأننا فى وضع السجود نكون فى أقصى درجات الخضوع للّه ليكون قولنا فيه مدح للّه الأعلى ليتغمدنا بأقصى درجات الرحمة لأننا فى أقصى درجات الخضوع.

والله سبحانه وتعالى يحب التودد ويحب طلب الرجاء منه سبحانه ويجب أن نذكره دائماً بوحدانيته وعظمته ليتغمدنا برحمته.

إن اسم الله جاء فى أول آية الكرسى وجاء بعده التوحيد فى قوله تعالى:

﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾

وإن كلمة التوحيد لا إله إلا الله هى الصراط المستقيم المستقر فى القلب للعبد المؤمن الحق، وهذه الكلمة المباركة النورانية هى التى تحمى صاحبها من السرقة والزنا ومن كل سوء وفحشاء لأن كلمة التوحيد هى التى تسيطر على المؤمن فتحركه إلى

المساجد وتحركه إلى كل عمل فيه خير وتبعده عن كل ما يغضب الله ومن يحمل هذه الكلمة لا يمكن أن تصدر منه أى معصية والدليل على ذلك قول النبى ﷺ فى الحديث الشريف.

عن أبى ذر رضى الله عنه قال أتيت النبى ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال: « **ما من عبد قال لا إله إلا الله ومات على ذلك إلا دخل الجنة** »وقلت وإن زنا وإن سرق؟ قال: « **وإن زنا وإن سرق رغم أنف أبى ذر** » وكان أبو ذر إذا حدَّث بهذا قال: « **وإن زنا وإن سرق رغم أنف أبى ذر** »

[أخرجه البخارى-كتاب اللباس]

إن هذا الحديث الشريف يبين لنا فضل كلمة التوحيد وفضل الإيمان بها، وذلك ما عجب له أبو ذر فسأل النبى أكثر من مرة ليتأكد ونتأكد نحن أن التوحيد يحمى الإنسان من الزنا والسرقة وكلها سرقة لأن الزنا هو أن تسرق حق غيرك فى امرأته أو فى ابنته، وكذلك السرقة فيها ظلم لأنك تنقص من مال من تسرقه.

ولكن الرسول الكريم يؤكد لأبى ذر ويقول العبارة البليغة «وإن زنا» وإن هنا تعنى استبعاد أن يزنى ما دامت فيه كلمة التوحيد ذلك لأن الذى يقولها بصدق مؤمناً بها قلبه لا يقرب الزنا أو السرقة لأن رسول الله ﷺ علمنا بالقاعدة الأساسية وقال: « **لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن** ».

وجاء ذلك فى حديث رسول الله ﷺ.

حدثنى عمرو بن على، حدثنا عبدالله بن داود، حدثنا فضيل بن عزوان عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: « **لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن** »

[أخرجه البخارى - كتاب الحدود]

وهذا معنى الهداية فى قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وإذا منح العبد من الله الصراط المستقيم، ومنح من الله كلمة التوحيد، ومنح من الله استقامة الباطن ترقى من العبد المخلِص «بكسر اللام» إلى العبد «المخلَص» بفتح اللام وأصبح

من الذين خلصهم الله سبحانه وتعالى وطهرهم لنفسه وأصبحوا فى شغل مع الله وبالله محفوفين بعنايته وحافظين لهيبته.

وهؤلاء الناس هم ناس من الناس ولكن الله سبحانه وتعالى أعطاهم تقواهم وزادهم الله هدى وأصبحوا لا سلطان للشيطان عليهم لأنهم فى حفظ دائم من الله سبحانه وتعالى تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾[الإسراء: ٦٥].

هؤلاء العباد لمعرفتهم بأساس الدين وهو التوحيد أصبح الشيطان لا سلطان له عليهم بل إنه أصبح يخشى الاقتراب منهم، ولنا مثل فى ذلك، وهو سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى قال له النبى ﷺ: إذا سلكت طريقاً سلك الشيطان طريقاً آخر مصداقاً لما جاء فى آخر الحديث الشريف.

عن سعد بن أبى وقاص فى وصف عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ﷺ فى آخر الحديث: **«والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك»**[أخرجه البخارى - كتاب بدء الخلق].

وهكذا يظهر لنا فائدة قوة الإيمان بالتوحيد فى حديث رسول الله ﷺ وذلك لأن الشيطان يذهب بعيداً عن الصالحين من كانت فى قلوبهم كلمة التوحيد وآية الكرسى هى أساس قوى يبنى عليه كل التكاليف الشرعية، ولذلك نجد أن أول آية الكرسى قول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ .

وبعد أن وضع الله التوحيد جاء لنا سبحانه وتعالى بالأدلة التى تبين أحقية الله سبحانه وتعالى فى الأولوهية وحده لا شريك له.

ومن أخلص فى قراءة آية الكرسى بإيمان أكيد دخل فى عباد الله «المخلَصين» (بفتح اللام) وذهب بعيداً عن غواية الشيطان.

تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

وعباد الله المخلَصين (بفتح اللام) أساسهم هو التوحيد الخالص ولقد خلصهم الله من كل شىء ودافع عنهم وحفظهم وجعلهم متفرغين لعبادته وحبه وحده وبذلك كانوا من الذين أنعم الله عليهم.

وإننا نحتاج كلمة التوحيد فى الدنيا لكى لا نضل فيها ولا نشقى كما أننا فى حاجة إليها إذا جاءتنا الملائكة للحساب فى القبر ليثبتنا الله سبحانه وتعالى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة تحقيقاً لما جاء فى الحديث الشريف.

حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال:

«إذا قعد المؤمن فى قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾» [أخرجه البخارى- كتاب الجنائز].

والقول الثابت هو قولنا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وبهذه الشهادة يثبتنا الله على الإيمان ونكتب من الناجين من النار ونثبت لأنفسنا ولغيرنا أن الله لا إله إلا هو الحى القيوم ويكون التوحيد لنا هو الأساس الذى نثبت عليه كل أعمالنا الصالحة، ونثبت به يوم القيامة.

ولأن آية الكرسى هى أساس التوحيد فى قول الله تعالى: ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾.

لذلك عرَّفنا الله سبحانه وتعالى بدلائل التوحيد وثبوت وحدانيته لأنه يملك كل صفات الألوهية التى فيها الكمال والجمال والجلال وأن كل هذا له وحده وجاء سبحانه لنا بالدليل الذى ينفى عن غيره هذه الصفات فجاء لنا فى أول الآية الكريمة باسم الله الذى لا ينافسه أحد ولا يسمى به أحد وهذا تفرد فى التسمية.

ثم ذكر سبحانه وتعالى بعد ذلك فى آية الكرسى اسم الحى والقيوم وكان ذلك فيه القضاء نهائياً على ما يدعون من دون الله من أصنام لأن اسمه الحى يعنى هو الموجود بحق وهو الحى بذاته لا بغيره وقد أضاف سبحانه وتعالى لاسمه الحى اسمه القيوم لتنضم صفة الإدراك والإشراف والهيمنة إلى صفة الحياة الأبدية فقال سبحانه

وتعالى «الحى القيوم» فهو سبحانه وتعالى الحى والمشرف على حركات كل متحرك وعلى سكون كل ساكن وقائم بصفة مستمرة على جميع خلقه.

ولذلك جاء اسمه القيوم لتعدد قيامه على أنواع متعددة من خلقه فهو قيوم على كل ما سواه مع أنه فى نفس الوقت هو العلى العظيم فالرب رب وإن تنزل على عباده بالعطاء والعبد عبد وإن ارتفع مقامه عند الله سبحانه وتعالى.

وإن قيومية الله سبحانه وتعالى تظهر لنا من رؤيتنا اليومية لنظام الكون المحكم من حولنا، وهذا هو الكتاب المنظور فلما أهملنا النظر إلى الكون من حولنا أرسل إلينا سبحانه وتعالى القرآن الكريم وهو الكتاب المسطور ليشرح لنا جمال الكتاب المنظور من حولنا لنعلم أن الله سبحانه وتعالى هو القيوم على كل خلقه وحده لا شريك له، وهذه فيها وحدانية الفعل كما كان له وحدانية الاسم فى اسم الله ووحدانية الحياة فى اسمه ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ووحدانية الملك فى قوله ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ وله وحدانية العلم بقوله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾.

واسم الله الحى القيوم الذى يسبقه الضمير يعنى هوالحى القيوم وليس لغيره هذه الصفات يعنى هو فقط الحى القيوم وغيره لا حياة لهم من الأصنام الحجرية أو الملوك البشرية التى تنقطع حياتهم بالنوم أو بالموت.. إننا لو نظرنا حولنا نجد كل شىء فيه الحياة يحيا بسر اسمه الحى حتى النبات الأخضر يحيا بسر الحى.

وقد جعل الله من الماء كل شىء حى باسمه الحى سبحانه وتعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأنبياء: ٣٠].

وما دام الله سبحانه وتعالى هو المعبود بحق وليس له شريك فى الملك وليس له نظير ولا شبيه إذاً فالذى لا يدعو لله نداً دخل الجنة، ومن مات وكان يدعو من دون الله نداً دخل النار تحقيقاً لما جاء فى الحديث الشريف.

حدثنا عبدان عن أبى حمزة عن الأعمش عن شقيق عن عبدالله قال النبىﷺ كلمة وقلت أخرى.

قال النبى ﷺ : « **من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار** » وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو للّه نداً دخل الجنة [أخرجه البخارى - كتاب التفسير].

إن كلمة الرسول الكريم ﷺ عن التوحيد نجد فيها رحمة وفيها فرصة كافية لمن كان يدعو من دون الله إله حتى يؤمن بالله الواحد الأحد لا شريك له أما من مات دون أن يؤمن بوحدانية الله سبحانه وتعالى فقد ضيع الفرصة ومات على الشرك والكفر لذلك كان دخوله النار على ربك حتماً مقضياً لأنه مات ولم ينطق بكلمة التوحيد حتى أن الله الرحيم بعباده لم يجد له فرصة واحدة لكيلا يدخله النار فهو بكفره لم يترك لرحمة الله أن ترحمه ولا لشفاعة النبى أن تنقذه ولكنه بإصراره حتى نهاية عمره على الشرك لم يكن له إلا النار لأنه هو الذى حكم على نفسه بذلك وهو الذى ظلم نفسه بنفسه.

وبذلك جاء حكم النبى عليه بدخوله النار بعد موته ولم ينطق بالشهادة لذلك أعلن لنا النبى ﷺ المصير المظلم لكل من مات ولم ينطق بكلمة التوحيد.

أما الكلمة الثانية التى قالها راوى الحديث الشريف هى أن من مات على التوحيد كانت نهايته الجنة:

نلاحظ أن فى كلمة النبى ﷺ تحذيراً لكيلا يضيع منا العمر دون الإيمان بالتوحيد وفيها الأمل لكل من يدعو مع الله نداً أن يرجع عن هذا قبل موته، وينطق بكلمة التوحيد ليدخل بها الجنة ويبعده الله عن النار ، وقد قال لقمان وهو يعظ ابنه إن الشرك ظلم عظيم.

﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾[**لقمان**: ١٣].

ولأهمية التوحيد نجد أن هذه الآية الكريمة هى أول كلام الحكمة وأول أساس الأدب مع الله من لقمان لابنه لأن التوحيد هو أساس لكل موعظة لذلك أول ما بدأ لقمان الموعظة لابنه قال له وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ثم بعد ذلك قال له باقى الموعظة.

تفهم من ذلك أن من حكمة لقمان أنه بدأ يعلم ابنه الحكمة فوضع فى ذهنه وقلبه عدم الشرك بالله وعلمه التوحيد ذلك لأن كل الخصال الحسنة إذا جاءت من الإنسان وكانت عقيدته الشرك فإنها كلها لا تفيد وسيقضى الشرك على كل الحسنات لأنه ليس بعد الكفر ذنب ذلك لأننا لا نقول إن الكافر أذنب فى حق الله وفعل كذا وعصى والديه لأن الأساس عنده كفر والكفر أكبر الذنوب وأى ذنب بعد الكفر هو أهون من الكفر نفسه.

نفهم من هذا كله أن الإنسان لابد له من أساس قوى ومتين من التوحيد أولاً ليبنى عليه كل أقواله وأفعاله فلا تهتز بعد ذلك مع تقلبات الحياة.

والتوحيد هو الأساس القوى الذى يبنى عليه كل أركان الإسلام فهو سبحانه الله الواحد لا إله إلا هو الحى القيوم وكل شىء ما خلا الله باطل فمن اعترف بواحدانية الله فعل بعد ذلك كل التكاليف الشرعية وقد قال الشاعر لبيد كلمة عن التوحيد وصدقها رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف.

حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن مهدى حدثنا سفيان عن عبدالملك حدثنا أبوسلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قال النبى ﷺ أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

«ألا كل شىء ما خلا الله باطل» وكاد أمية أبى السلط أن يسلم

[أخرجه البخارى- كتاب الأدب]

وكما أن القرآن الكريم عرفنا من خلال موعظة لقمان لأبنه أن أساس كل خلق كريم وأساس كل طاعة لله هو عدم الشرك فإن الحديث الشريف كذلك يبين لنا أن أكبر الكبائر وأساس كل معصية هو الإشراك بالله.

حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا الجريرى وحدثنى قيس بن حفص حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا سعيد الجريرى حدثنا عبدالرحمن بن أبى بكرة عن أبيه رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: « **أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور (ثلاثاً) وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا : ليته يسكت**»
[أخرجه البخارى - كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم]

نلاحظ أن الحديث الشريف كرر شهادة الزور أكثر من مرة ذلك لأن الإنسان عندما يقول كلمة التوحيد ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يجب عليه عدم العودة إلى الكفر ثانية وعدم الرجوع عن الحق ومن شهد بكلمة التوحيد ثم رجع عنها أو عن حقوقها فقد كانت شهادة «الزور» لأن هذه الكلمة فيها معنى الرجوع فشهادة الزور هى الرجوع عن الحق وما سمى الزور وهو العضو الذى فى الرقبة بهذا الاسم إلا لأنه يعلو ثم يرجع وبهذا الرجوع سمى الزور وكذلك ما سمى الزائر بهذا الاسم إلا أنه إذا ذهب لزيارة أحد فلابد له أن يرجع ثانية إلى بيته وبلده.

وقد قال عنترة بن شداد عن فرسه وهو فى المعركة يتلقى الطعنات فى صدره فيرجع برأسه إلى الخلف فى قوله:

فازورّ من وقع القنا بلبانه　　　وشكا إلى بعبرة وتحمحم

فكلمة ازورّ أى رجع إلى الخلف لذلك كله فالرجوع عن الحق هو أساس كل المعاصى وقول الله تعالى فى سورة الكهف وهو يصف الشمس وهى ترجع عن كهف الأولياء ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾[**الكهف** :١٧] .

وجملة ﴿ تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ﴾ تعنى ترجع عن كهفهم لكيلا تضر الحرارة بأجسادهم.

إن هؤلاء الفتية عندما اعتزلوا الكفر وآمنوا بوحدانية الله تعالى فروا إلى الله فكان جزاء الله تعالى لهم أن قال ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ وكأنه سبحانه وتعالى يدفعهم إلى رحمته دفعاً ليحميهم من الذين يبحثون عنهم من أهل الكفر وكذلك ليعلمهم أن البعث بالروح وبالجسد معاً لأن ذلك الموضوع قد اختلفوا فيما بينهم فيه وفى

الاختلاف شقاء أما العلم الصحيح (الرشد) فيه رحمة ومن رحمة الله تعالى بهم قد ألقى عليهم النوم الطويل ثم بعثهم بعد ذلك فلما استيقظوا من نومهم الطويل عرفهم الله أنه هو الحى القيوم وهو الذى يحيى ويميت لذلك لما قاموا وعلموا أن الأرض لم تأكل أجسادهم والسماء لم تضرهم بشمسها فقد صدقوا أن الله هو وحده له ملك السماوات والأرض وأنه سبحانه وتعالى هو رب السماوات والأرض فآمنوا بربهم فزادهم الله هدى، يقول الله تعالى: ﴿ **إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا ...** ﴾ [**الكهف**:١٤].

وقولهم هذا يعنى لولا أنه سبحانه رب السماوات والأرض لأكلت الأرض أجسادنا وأحرقت الشمس جلودنا لذلك لن ندعو من دونه إلهاً لأنه سبحانه وتعالى هو وحده الذى قام على حفظنا ونحن نيام لأنه لا ينام ولا تأخذه سنة ولا نوم وهو الحى القيوم الذى قام على حفظنا وكذلك فإنه سبحانه وتعالى له ما فى السماوات وما فى الأرض.

فله ما فى السماء فحول عنهم شمسها لكيلا تضر بأجسادهم وهذا يدل على أنه سبحانه حى قيوم لا شريك له فى ملكه وله كذلك ما فى الأرض فلم يمكن ترابها ولا حشراتها من الاقتراب أو الضرر بجلودهم وأجسادهم.

لذلك نلاحظ أن الفتية بعد استيقاظهم من نومهم الطويل لم يذكروا الله بقدرته أو بأسمائه بل ذكروه سبحانه برب السماوات والأرض بالذات وأن رب هذه المخلوقات العظيمة هو كذلك ربهم وهذا فيه توحيد خالص للَّه كما أننا نجد فى طيه الافتخار بأن الله رب السماوات والأرض هذه المخلوقات العظيمة هو كذلك ربهم الذى رحمهم وعلمهم فرحمهم من الهلاك فحافظ عليهم ورحمهم من الجهل فعرفهم بحقيقة البعث.

ونصل إلى حقيقة مهمة وهى أن الكفر موت والإيمان حياة وأساس الإيمان هو الإيمان بلا إله إلا الله إن كلمة التوحيد لا إله إلا الله هى الكلمة الأفضل وهى أفضل ما قاله النبيون وقد جاء فى الحديث القدسى أن النبى ﷺ عن ربه قال: «**إن السماوات والأرض ضعفت عن أن تسعنى ووسعنى قلب المؤمن**».

إن لا إله إلا الله هى النور الذى يقذفه الله سبحانه وتعالى بقدرته وحكمته فى قلب عبده الذى اختاره للولاية وإذا اختار اللّه عبداً من عباده ليكون ولياً له سبحانه علمه بلا إله إلا الله فنطق بالحكمة وحفظه الله بكلمة التوحيد وكانت له نوراً يمشى به بين الناس.

فاللهم قيدنا بقيود السلامة عن الوقوع فى معصيتك بفضل لا إله إلا الله وعاملنا يا ربنا العظيم بما أنت أهله، ولا تعاملنا بما نحن أهله إنك أهل التقوى وأهل المغفرة.

اللهم يا قيوم السماوات والأرض، ويا محرك الحركات، ومشقق الصخور الراسيات المنبع منها ماء معيناً للمخلوقات المحى به سائر الحيوانات والنباتات العالم بسر إشارات خفيات لغات النمل السارحات من سبحت وقدست وعظمت ومجدت بجلال جمالك وجمال جلالك العالم بسر تسبيح ملائكة السبع سماوات اجعلنا يا مولانا فى حماية لا إله إلا الله واجعل تعلقنا بها تعلقاً محموداً فإنها هى العروة الوثقى التى تعقلت بها قلوبنا وأرواحنا التى لا يضل ولا يسقط من استمسك بها.

والحديث الشريف يبين فضل قول لا إله إلا الله.

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[أخرجه مسلم].

وفضل الله على الأنبياء أن جعل لهم كلمة التوحيد فيها دعوتهم، وفضله سبحانه وتعالى على الناس جميعاً أن أرسل لهم الرسل والأنبياء يدعونهم للإيمان بكلمة التوحيد لأن من كان آخر كلامه فى الدنيا قبل أن يموت لا إله إلا الله دخل الجنة.

وما رواه أبو داود الحاكم من طريقة كثير بن مرة الحضرمى عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[البخارى-كتاب الجنائز].

وقد ذكر ابن إسحاق فى السيرة أن النبى ﷺ لما أرسل العلاء بن الحضرمى قال له« **إذا سئلت عن مفتاح الجنة فقل : مفتاحها لا إله إلا الله**» ، وهذا كله فضل لا إله إلا الله وفضل التوحيد على الإنسان المسلم فالتوحيد إذا وقر فى قلب المؤمن رفعه إلى أعلى عليين.

فقد روى أنه كان جبريل عليه السلام مع رسول الله ﷺ إذا أقبل أبو ذر الغفارى وهو صحابى جليل من صحابة رسول الله ﷺ وكان نحيل الجسم ولكن قوى الإيمان بوحدانية الله تعالى : فقال جبريل :«**هذا أبو ذر قد أقبل**» ، فقال سيدنا محمد رسول الله ﷺ متعجباً «**أو تعرفونه؟**».

قال جبريل عليه السلام: «**هو أشهر عندنا** (فى عالم الملائكة) **من عندكم** (فى عالم الإنسان)»

فقال سيدنا محمد ﷺ «**بماذا نال هذه الفضيلة؟**».

قال جبريل عليه السلام : «**لصغره فى نفسه وكثرة قراءته قل هو الله أحد**».

وهذه الفضيلة نالها أبو ذر لأنه يوحد الله كثيراً مع تواضعه فى أخلاقه ومع أنه صغير الجسم إلا أنه قوى الإيمان وله مقام كبير فى عالم الملائكة وعند الله سبحانه وتعالى.

وكلمة التوحيد محلها القلب وهى التى تفصل بين الإيمان والكفر ولا يصح أن تقال باللسان فقط ولا يصدقها القلب فمن الناس من يرددها قولاً فقط وليس لها أساس إيمانى فى قلبه يعنى أن هذا الإنسان ليس عنده رصيد إيمانى حقيقى فى القلب ومع ذلك يقولها باللسان فقط ولكن الإيمان الحقيقى هو أن تستقر كلمة التوحيد فى القلب ثم يشهد اللسان بذلك لتكون شهادة الحق وليس شهادة الزور التى نهانا عنها رسول الله ﷺ.

يقول الله تعالى:

﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[**الحجرات**: ١٤].

نفهم من ذلك أن أساس الإيمان هو التوحيد الذى يستقر فى قلب المؤمن الذى يصل بعد ذلك إلى درجة الإحسان.

أما هؤلاء الأعراب قد أسلموا ولكن لم يدخل الإيمان فى قلوبهم يعنى أنهم قالوا كلمة التوحيد فانتقلوا بها من الكفر إلى الإسلام، ولم تدخل الكلمة فى قلوبهم، ليكونوا مؤمنين، فلم يصلوا إلى درجة الإيمان.

نحن نعلم أن السفر من بلد إلى بلد ومن صحبة جماعة إلى جماعة قد يغير فكر الإنسان وقد يغير عقيدة الإنسان ضعيف الإيمان فلابد لنا أن نحافظ على التوحيد داخل قلوبنا مهما تغير المكان. والسفر معناه الكشف ذلك لأنه يسفر أو يكشف عن معادن الرجال ففى السفر تظهر شجاعة الرجل أو خيانته أو جبنه أو كرمه ولذلك يجب علينا عند عودتنا من السفر أن نقول كلمة التوحيد كما قالها الرسول ﷺ دائماً عندما كان يعود من الغزو أو الحج أو العمرة كما جاء فى الحديث الشريف.

حدثنا إسماعيل قال حدثنا مالك عن نافع ، عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: « **لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عائدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**»[1] [البخارى - كتاب الدعوات].

ومعنى الحديث أن رسول الله ﷺ كان إذا رجع من الغزو أو الحج أو العمرة يكبر ثلاث مرات على أبواب المكان أو قرب المكان الذى رجع إليه ثم يقول كلمة التوحيد لا إله إلا الله وحده لاشريك له ليؤكد لنفسه ولنا أن السفر لم يغير التوحيد فى قلبه ويقول عائدون لربنا حامدون وبذلك فقد حمد الله على ثبات القلوب المؤمنة بعد عودتها ويبين لنا أننا نفعل مثل ما فعل، ونوحد الله عند عودتنا من السفر ونحمد الله على أن وهبنا السلامة فى الجسد وفى الدين ولم يغيرنا السفر لأن فى

(١) قفل من حج : رجع من الحج.

الأسفار يختلط المؤمن مع الناس على جميع أشكالهم وألوانهم لذلك يجب حمد الله وتوحيده بعد السفر على أننا ما زلنا متعلقين به سبحانه وتعالى ولم يغيرنا البعد عن الوطن ولم نتعلق بشيء من السفر.

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾

إن لا إله إلا الله هى كلمة التوحيد وهى أساس دعوة كل الأنبياء عليهم السلام ولقد أرسل الله جميع الأنبياء برسالة التوحيد تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

وسيدنا نوح أرسل كذلك بالتوحيد بقول الله تعالى:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وكذلك قال سيدنا هود عليه السلام يقول الله تعالى:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وصالح عليه السلام قال القول ذاته بقول الله تعالى:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وشعيب ينادى بعبادة الله وحده بقول الله تعالى:

﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

نلاحظ مما سبق أن دعوة التوحيد على لسان نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام كانت دعوة واحدة بحروف واحدة وكلمات واحدة وهى دعوة إلى عبادة الله الإله الواحد وهو قولهم:

﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾

ومع هذه الدعوة إلى التوحيد إلا أن أقوامهم إذا قيل لهم لا إله إلا الله كانوا يستكبرون ولا يؤمنون تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[الصافات: ٣٥].

إن كل هؤلاء الرسل الكرام كان الله سبحانه وتعالى يرسل كل منهم إلى قومه خاصة ولكن رسولنا الكريم محمد ﷺ أرسله الله سبحانه لكل الناس عامة تحقيقاً لقول الله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾[الأعراف: ١٥٨].

وهكذا كانت رسالة سيدنا محمد لكل الناس عامة لأن الله قد أمره بقوله ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾.. وذلك لأن دعوته ﷺ هى دعوة عامة أما الأنبياء السابقين فكان قولهم ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ .

فكان كل نبى يدعو قومه خاصة إلى أن أرسل الله محمداً ﷺ لكل الناس بل ولكل العالمين ، تحقيقاً لقول الله تعال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

[الأنبياء: ١٠٧]

وقد روى الإمام البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما يقول: لما بعث النبى ﷺ معاذاً إلى أهل اليمن قال له:

«إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فاخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات فى يومهم وليلتهم..»

[كتاب التوحيد- باب ما جاء فى دعوة النبى ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى]

إن قول النبى ﷺ لمعاذ رضى الله عنه **«أول ما تدعوهم أن يوحدوا الله تعالى»** ذلك لأن أهل الكتاب أهم ما أضلهم وأضرهم هو قولهم أن عُزيراً ابن الله وأن عيسى وأمه آلهة من دون الله فأراد بوصيته لمعاذ أن يضعهم بالتوحيد على الطريق

المستقيم فيستقيم كل ما يأمرهم به بعد ذلك من صلاة وزكاة لأن ما يبنى على أساس من التوحيد فهو قوى ومتين ونحن نعلم أن الله تعالى هو الواحد الأحد حقاً وصدقاً ولكن توحيدنا نحن للّه هو فى جعل قلوبنا وأرواحنا وأجسادنا وكل ما بنا فى اتجاه واحد نعبد إله واحد فهذا هو التوحيد الحقيقى وهو أن يقف الإنسان فى الصلاة يتجه إلى الاتجاه المادى وهو القبلة مع توحيد فكره وروحه ونفسه وقلبه وسمعه وبصره فى اتجاه معنوى واحد لله الواحد فينطبق الاتجاه المعنوى مع الاتجاه المادى على صراط مستقيم واحد فإن أى واحد منا إذا دخل فى قلبه نور الواحد سبحانه ولا شىء معه كان ذلك هو التوحيد الخالص فالواحد x واحد = واحد وبذلك يكون مراد العبد هو مراد الله.

فإذا غضب الله غضب فى عبده وإذا فرح فرح وأظهر فرحه على وجه عبده الموحد للّه وهذه هى الولاية الخالصة وهذه فائدة كلمة التوحيد التى يتحرك بها الأولياء روحياً ومادياً لذلك فالمقصود بأننا نوحد الله لأنه فعلاً هو الواحد الأحد رضاً منا أو قهراً إنما المقصود أن نوحده نحن لصالحنا لندخل فى ظل التوحيد يوم لا ظل إلا ظله وظل الله هو حماية لنا فى الدنيا بكلمة التوحيد من المعاصى وفى الآخرة من العذاب العظيم.

ولأهمية التوحيد فقد استشهد فى سبيله وفى سبيل الدعوة إليه مئات المؤمنين قبل أن تفرض الصلاة أو الزكاة.

وقد اتبع المسلمون الأوائل ما جاء به رسول الله ﷺ من التوحيد قبل فرض الصلاة أو الزكاة وقد صاحب الصديق رضى الله عنه النبى ﷺ تحت مظلة وحماية التوحيد.

وكان الدين الإسلامى كله عبارة عن كلمة التوحيد وظل على ذلك سنوات طويلة حتى فرضت الصلاة والزكاة وغيرها من الفروض فجاءت كل الفروض على أساس من التوحيد الخالص القوى المتين.

وقال رسول الله ﷺ فى الحديث الذى أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق باب: العمل الذى يبتغى به وجه الله.

«لن يوافى عبد يوم القيامة يقول لا إله إلا الله يبتغى بها وجه الله إلا حرم الله عليه النار».

نفهم من ذلك أن كلمة التوحيد لا إله إلا الله هى كلمة التقوى التى تحمينا من النار فهى السياج الواقى الذى يمنع عنا حرارة النار فى الآخرة ولذلك قال سبحانه وتعالى:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[الأعراف:٢٦].

ولباس التقوى خير لنا لأن لباس الدنيا يستر عورات الجسد ويحمينا من حرارة الشمس وبرد الشتاء لكن لباس التقوى يحمينا من نار جهنم ويحمينا من الزمهرير وكذلك يستر عيوبنا فى الآخرة وستر الآخرة خير من الدنيا.

ونحن إذا نظرنا بتعمق فى القرآن الكريم نجد آياته وكلماته تحتوى على التوحيد سواء كان ذلك بالتصريح أو بالتلميح.

لذلك إذا نظرنا إلى كلمات وآيات سور الفاتحة نجدها تدعو إلى التوحيد الصادق الخالص.

فـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تعنى الحمد لله وحده لأن الحمد لا يجوز إلا للّه وحده.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعنى أنه وحده المعبود وهو مالك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم.

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وحد الله سبحانه وتعالى كل اسمائه فى اسم الرحمن الرحيم.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يعنى هو وحده الذى يملك يوم الدين وهو الملك والمالك.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعنى أننا يا رب بروحى وجسدى ونفسى وبصرى وسمعى نعبد الله الواحد يعنى لك أنت وحدك نعبد.

﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يعنى أننا لا نقدر على عبادتك إلا بمعونتك أنت وحدك.

إن قولنا فى الفاتحة (إياك نعبد بصيغة الجمع مع أن العابد للّه يصلى بمفرده ومع ذلك يقول (إياك نعبد) ولم يقل (إياك أعبد).

ذلك لأن الإنسان العابد لا يجب أن يعبد الله بجسده فقط ركوعاً وسجوداً ولكن لابد أن يسجد لله بجميع مكوناته لذلك كانت «نعبد» بدلاً من أعبد والتوحيد هنا يتضح من أن العبد يوحد جميع مكوناته على قول واحد فى اتجاه مادى واحد وهو القبلة وفى اتجاه روحى واحد وهو عدم النظر أو التفكير أو الخروج بالنفس خارج صلاته إلا فى اتجاه معنوى واحد يتطابق تماماً مع اتجاه القبلة المادى وبذلك يتحقق قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وفى هذه اللحظة إذا قلت وطلبت الصراط المستقيم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ استجاب لك الله فأعطاك نور لا إله إلا الله فى قلبك.

ومن هنا كانت الدعوة واحدة وهى الصراط المستقيم ندعو بها إلهاً واحداً ولذلك فإن الإخلاص فى الدعاء يجعل الاستجابة من الله فى الحال وكما أمرنا الله بالدعاء فإنه يستجيب لنا تحقيقاً لقول الله تعالى:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠].

ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى لم يقل سأستجيب لكم يعنى بعد مدة طويلة إنما استجابته تكون فوراً لو دعوناه وحده لا شريك له لأنه سبحانه وتعالى هو الذى كتب على نفسه الاستجابة وهو الذى يقول تعالى:

﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[غافر: ٦٥].

وكلمة التوحيد منجاة للمسلم، انظر إلى سيدنا يونس عليه السلام. إن يونس عليه السلام لولا أنه كان من المسبحين بكلمة التوحيد للبث فى بطن الحوت إلى يوم يبعثون .. تحقيقاً لقول الله تعالى:

﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨] .

ويقول الله تعالى :

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

[الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤]

كان سيدنا يونس وهو فى بطن الحوت يستغيث بقوله أن لا إله إلا أنت سبحانك فاستجاب له ربه فوراً ونجاه من الهلاك وأخرجه من الضيق إلى الفضاء الفسيح وكذلك فإن كل مؤمن بوحدانية الله سبحانه وتعالى ينجيه الله سبحانه وتعالى كما نجى نبيه يونس عليه السلام بفضل لا إله إلا الله فالنجاة من غم الدنيا والآخرة فى قولنا بإيمان صادق لا إله إلا اللَّه وإننا نلمس التوحيد حتى فى أركان الإسلام لأننا نشهد أن لا إله إلا الله ونقيم الصلاة فى اتجاه واحد ناحية بيت الله ونعبد رباً واحد فى قبلة واحدة بنظام واحد .

نفهم من ذلك أن بداية الإيمان بالتوحيد يبدأ بالشهادة ثم فى النهاية تستقر الكلمة فى القلب فلاتغادره أبداً وفى هذه الحالة تقود كلمة التوحيد صاحبها إلى الجنة لأنها من غراس الجنة .

فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى بى فقال يا محمد اقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم» .

نلاحظ أن كلمة سبحان الله هى أول التسبيح لله سبحانه وتعالى لأنها هى المسئولة عن نظافة القلب من الشرك وتأتى بعدها كلمة الحمد لله وفيها شكر وامتنان على نظافة القلب من الشرك فى هذه اللحظة تأتى أفضل كلمة وهى كلمة التوحيد

لا إله إلا الله لتوضع فى القلب بعد تنظيفه من الشرك ذلك لأن الشىء الغالى المراد الحفاظ عليه لابد أن يوضع فى مكان نظيف لتكبر فيه الكلمة وينتصر بها الإنسان المؤمن على نفسه أولاً ، وهذا هو النصر والجهاد الأكبر وبعد لا إله إلا الله تأتى كلمة «الله أكبر» وهى كلمة النصر التى انتصر بها المسلمون فى كل معاركهم لإعلاء كلمة التوحيد التى استشهد فى سبيلها الشهداء فى الإسلام وبعد النصر لابد أن نقول لاحول ولا قوة إلا بالله لنعترف أن النصر كان بحول الله وقوته وهذا منتهى الأدب والتواضع لله.

لأنه لما كان النصر فيه نشوة وفرحة قد تنسينا ذكر الله لذلك وجب علينا أن نقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وذلك لنطرد من نفوسنا الغرور بالنصر ونؤمن بأن النصر هو من عند الله الواحد الأحد وقد قال سبحانه وتعالى:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣ ﴾ [النصر: ١ - ٣].

إن الله سبحانه وتعالى يعلمنا من الأدب القرآنى العظيم أننا يجب علينا أن نتواضع لله ونسبح بحمده ونشكره وحده بعد النصر وليس هذا فقط ولكن يجب علينا كذلك أن نستغفره لنطرد من أنفسنا ما كنا نشك أنه لا ينصرنا وذلك ليتوب علينا ونتوب ونرجع إلى ربنا بهذا الاستغفار سبحانه وتعالى هو التواب الرحيم.

وهكذا تعلمت أمة الإسلام وهكذا كانت حضارة الإسلام وأمة القرآن أما الأمم السابقة فكانت إذا انتصرت رقصت وشربت الخمر وانغمست فى اللهو والغرور بنصرها لكن الله سبحانه وتعالى أراد لنا الهدى والرشاد وعلمنا أننا بعد النصر نسبح بحمده سبحانه ونستغفره ، وهذا هو أدب القرآن الكريم وهذا هو سر قوة الأمة الإسلامية وبهذه العقيدة السليمة كانت هى أساس الأمة الإسلامية القوية.

إن حق الله على العباد بعد أن خلقهم ورزقهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله إذا عبدوه ووحدوه أنه لا يعذبهم أبداً وما خلق الله الخلق وجعل لهم السمع والبصر والفؤاد إلا ليعبدوه . . وقد جاء فى الحديث الشريف هذا المعنى:

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن أنس بن معاذ قال: بينما أنا رديف النبى ﷺ فقال: « **يا معاذ** » قلت لبيك وسعديك - ثم قال مثله ثلاثاً - « **هل تدرى ما حق الله على العباد ؟** » .

قلت : لا . قال « **حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً** » ثم سار ساعة فقال : « **يا معاذ** » . . قلت : لبيك وسعديك . قال : « **هل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ أن لا يعذبهم** » [البخارى - كتاب الاستئذان] .

إن معاذاً فى هذا الحديث الشريف كان رديف النبى ، أى كان خلفه ، وقد قال له فى حوار جميل بيّن فيه حق الله على العباد ، وحق الله مقدم على حق العباد ، وبعد ساعة قال له رسول الله ﷺ إن حق العباد على الله أن لا يعذبهم والعبادة تبدأ من قول العبد بإخلاص لكلمة التوحيد : لا إله إلا الله .

ومع ذلك نجد من قال إن لله ولداً إنها مقولة كاذبة ظالمة تؤدى بصاحبها إلى الكفر .

﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً** ﴾ [مريم : ٨٨] .

إن اليهود قالت إن عُزيراً ابن اللَّه ، وقالت النصارى المسيح ابن الله تحقيقاً لما جاء فى القرآن الكريم:

﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ** ﴾ [التوبة : ٣٠] .

ويرد الله عليهم :

﴿ **لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾ [الزمر : ٤] .

إن الله سبحانه وتعالى يرد عليهم بالمنطق السليم ، ويسخر منهم ، ومن أقوالهم الكاذبة فيقول لنبيه الحبيب محمد ﷺ قل لهم إن كنتم تعتقدون أن الله سبحانه وتعالى يجب أن يكون له ولد فأنا أولى بذلك فأنا أول العابدين ، لقد قلتم قولاً ثقيلاً

تتقطع منه السماء، وتنشق منه الأرض، وتخر الجبال بسبب قولكم أن للرحمن ولداً، وما ينبغي أن يكون للرحمن ولداً.

ومن صبر الله وحكمته على كل من قال إن له ولداً أنه سبحانه وتعالى يصبر على هؤلاء المشركين ويرزقهم ويعافيهم فى الدنيا، وجاء صبر الله فى الحديث الشريف وهو حديث أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال:

«ليس أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم ليدعون له ولداً وإنه ليعافيهم ويرزقهم»[البخارى - كتاب الأدب].

فما أصبرك يا ربنا العظيم على هؤلاء المشركين الذين يدعون لك الولد كذباً وافتراءً، ومع ذلك تعافيهم فى بدنهم وترزقهم فى دنياهم، كل ذلك لأنك سبحانك رب العالمين ترزق جميع البشر وجميع الخلق ولكن لهم فى يوم القيامة حساب، وعذاب، وموقف عظيم.

وقد قال سيدنا إبراهيم رب اجعل هذا المكان الصحراوى بلداً آمناً يقصد بذلك مكة المكرمة، وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر، ولم يذكر الكفار بنصيب من الرزق ، ذلك لأن سيدنا إبراهيم يهمه المؤمن الذى آمن بالله، ولكن الله سبحانه وتعالى لأنه رب كل العالمين ويرزق المؤمن، والكافر قال سأرزق المؤمن وكذلك من كفر سأرزقه، وأمتعه متاع الدنيا القليل ثم اضطره إلى عذاب النار، وبئس المصير ذلك لأن البئر الذى جعله الله يتفجر من الأرض سيشرب منه المؤمن والكافر وحتى الطيور الجارحة ستشرب كذلك لأن الله هو رب العالمين وليس رب المؤمنين فقط تحقيقاً لما جاء فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[البقرة: ١٢٦].

ومن هذه اللحظة تعلم سيدنا إبراهيم من الله أن الله هو رب العالمين لأنه لما قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين ولم يقل أسلمت لرب المؤمنين.

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[البقرة: ١٣١].

لقد جاء التعليم من الله لنبيه إبراهيم عليه السلام بالنتيجة الطيبة فلما قال له اسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها «أى بهذه المعلومة أن الله رب العالمين جميعاً» لكل أبنائه من بعده.

إن أهل الكتاب قالوا المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن الله، وهذا شرك بالله لا يغفره الله أبداً لأن الغفران للذنوب وليس بعد الكفر ذنب يغتفر ؛ لأن أساس كل ذنب هو الشرك كما أن أساس كل عمل صالح هو التوحيد.

ويقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾[النساء: ١١٦].

وقال الله تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[النساء: ١٧١].

نلاحظ فى هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يقول لأهل الكتاب أن يقولوا أن عيسى هو ابن مريم ولا يقولون هو ابن الله؛ لأن ذلك شرك بالله إنما الله إله واحد سبحانه وتعالى تنزه الله عن هذا الشرك؛ لأنه لو أراد أن يكون له ولد فله ما فى السماوات وما فى الأرض ويكفى أن يكون للّه كل ما فى السماوات وما فى الأرض فما حاجته إلى ولد وهذه الجملة قد وردت فى آية الكرسى لتنفى عن الله اتخاذ الولد كما قال تعالى:

﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾

وأن العبارة القرآنية لا تأخذه سنة ولا نوم قضت نهائياً على فكرة اتخاذ إله من الإنس، والعبارة الثانية له ما فى السموات وما فى الأرض قضت نهائياً على فكرة اتخاذ الملائكة أو الجن أو أى مخلوق شفيع للإنسان ذلك لأن الله سبحانه يملك كل ما فى السماوات وكل ما فى الأرض.

والحديث الشريف يقرر أن عيسى هو عبدالله ورسوله وكلمة الله ألقاها إلى مريم وهو روح من الله، والحديث الشريف يوافق ما جاء فى القرآن الكريم.

حدثنا صدقة بن الفضل، حدثنا الوليد عن الأوزاعى قال حدثنى عمير بن هانئ قال: حدثنى جنادة بن أبى أمية ، عن عبادة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:

«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[البخارى - كتاب أحاديث الأنبياء].

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾[النساء: ١٧١].

وهذا الحديث الشريف يوافق ما جاء فى الآية الكريمة (رقم ١٧١ فى سورة النساء) بأن عيسى هو عبدالله تعالى وهذا هو القول الحق كما أن الجنة حق والنار حق فعيسى هو عبدالله وهذا هو القول الحق من عيسى عليه السلام نفسه حين تكلم فى المهد فأول ما قال قال: إنى عبد الله تحقيقاً لقول الله تعالى:

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[مريم: ٣٠].

إن عيسى لم يقل إنى ابن الله بل قال إنى عبدالله وكأن عيسى عليه السلام كان يعلم من الله أن قومه سيقولون إنه إله لذلك كان أول رسالته أنه قال إنى عبدالله وبذلك قد نفى الألوهية عنه، وثبت لنفسه العبودية كذلك بقوله: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾[مريم: ٣٢]. ولم يقل وبراً بوالدى لنفهم أنه ليس له أب، أما يحيى عليه السلام فقد قال الله تعالى عنه: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ﴾[مريم: ١٤]. ذلك لأن يحيى جاء من أم وأب أما عيسى عليه السلام كانت أمه مريم فقط وللعبد أن يؤدى فرائض العبودية كالصلاة والزكاة، ولأن عيسى عليه السلام قال وهو طفل صغير إنى عبدالله وكان لايجوز فرض الصلاة عليه، وهو طفل فهو لا يقدر على الطهارة حتى يصلى ولا

يقدر على التكسب، حتى يزكى لذلك من حكمة الله سبحانه وتعالى، ومن بلاغة كلام القرآن الكريم أنه قال: ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[مريم: ٣١].

إن الله سبحانه وتعالى بهذا الأسلوب القرآنى العظيم قد وضع الكلام المناسب فى المكان المناسب للزمن المناسب، وذلك ليتفق كلام الله مع الحدث نفسه لذلك لم يقل سبحانه وتعالى «أمرنى بالصلاة والزكاة» ولكنه قال سبحانه وتعالى﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ والوصية تنفذ بعد أن يبلغ سن الرشد ليكون صالحاً لإقامة الصلاة وتأدية الزكاة، وهذه بلاغة نادرة نجدها فى كلام رب العالمين لنفهم من ذلك كله أن عيسى ليس عبداً كلاماً فقط، ولكنه عبد ينفذ أوامر الله من صلاة أو زكاة لذلك يعرفنا الله سبحانه وتعالى أن قول الحق هو الذى يقول ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ تحقيقاً لقول الله تعالى:

﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾[مريم: ٣٤]

يعنى أن قولنا عيسى ابن مريم ذلك هو القول الحق الذى يجب أن نقوله نحن المسلمين ولا نختلف فيه أما هم فهم فى عيسى يختلفون فمنهم من يقول أنه ابن الله ومنهم من يقول إنه الله ومنهم من يقول إنه ثالث ثلاثة، وهكذا هم فيه يختلفون ولماذا هذا الاختلاف بعد أن ذكر لنا قصة عيسى عليه السلام من وقت مولده إلى رسالته وحتى ختامها والله سبحانه وتعالى يعرفنا أن عيسى ليس هو ابن الله ولكن مثله كمثل آدم يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

[آل عمران: ٥٩]

يعنى أن عيسى خلق بكلمة الله مثل آدم تماماً، ولم نقل أن آدم ابن الله مع أن خلق آدم فيه إعجاز أكثر من خلق عيسى، لأن آدم خلق بدون أب وبدون أم وأن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الإنسان ويقول الله تعالى:

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ﴾ [المائدة: ٧٥].

نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قال عن عيسى وأمه أنهما يأكلان الطعام، وهذه الصفة تنفى عنهما صفة الألوهية لأن الإله لا يأكل الطعام.

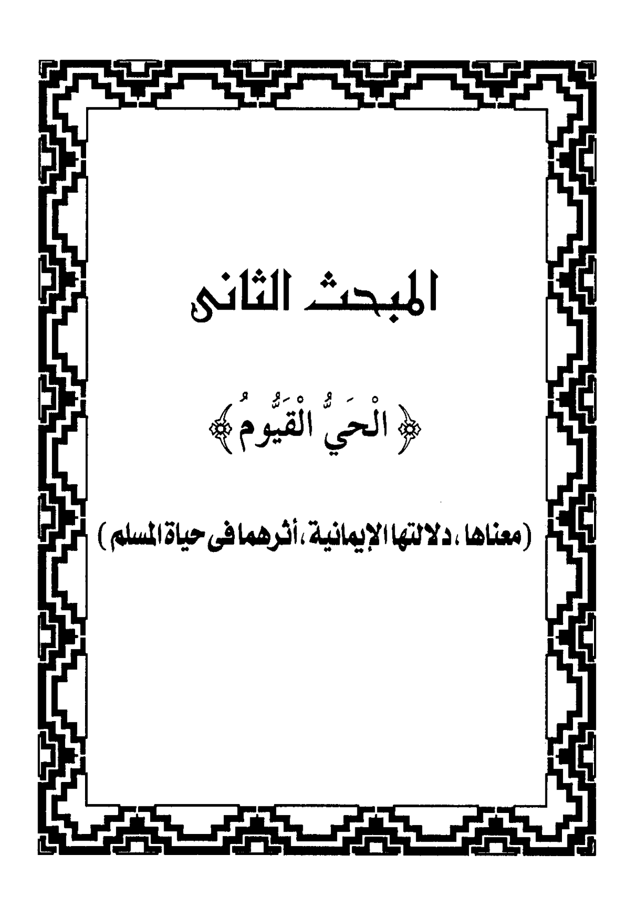
وبذلك يفهمنا القرآن الكريم بطريقة منطقية ومهذبة؛ لأننا نعرف أن كل من يأكل الطعام لابد له من الإخراج للتخلص من فضلات الطعام ولكن من دقة القرآن الكريم وأدبه فى انتقاء الألفاظ اللائقة فقد ذكر لنا أنهما يأكلان الطعام وترك لنا التفكر؛ لاستنتاج ما يحدث بعد الطعام من إخراج الفضلات، وهذه المعلومة تؤكد لنا عدم صلاحية البشر آكلى الطعام شاربى الشراب أن يكون منهم آلهة ، ثم يقول الله تعالى: **﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[المائدة: ٧٥]**.

يقول الله تعالى انظر وتأمل يا من له عقل سليم أن الله قد قدم لهم كل الدلالات على أن عيسى وأمه لا يصلحان أن يكونا إلهين من دون الله، ومع ذلك انظر فإنهم ما زالوا يكذبون يقولون إن عيسى ابن الله.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[البقرة: ١٣٥].

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾[البقرة: ١٢٠].

فعلاً وحقاً أن هدى الله هو الهدى الحق أما ما يدعون به فهو الباطل ويقول الله لنبيه الكريم **﴿لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾** ولم يقل ولئن اتبعت ملتهم لأن الله سبحانه وتعالى وصف ملتهم أنها باطلة لأنها أهواء ابتدعوها **﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾[القصص: ٥٠]**.



المبحث الثاني

﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

(معناها، دلالتها الإيمانية، أثرهما في حياة المسلم)



﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾

ذكر الله تعالى اسم الحى القيوم فى آية الكرسى فى سورة البقرة فى قوله تعالى .
﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .

وذكر الله اسم الحى القيوم فى سورة آل عمران :

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾

وفى سورة طـه :

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ .... ﴿١١١﴾ ﴾

وفى سورة الفرقان :

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ... ﴿٥٨﴾ ﴾

إن معنى اسمه سبحانه وتعالى ﴿ الْحَيِّ ﴾ يعنى هو الذى منه الحياة الذاتية التى لم تأت من غيره، هو الذى يهب الحياة لخلقه ليعبدونه سبحانه وتعالى، هو الحى الذى لا تنقطع حياته بنوم ولا بموت فهو الحى الذى لا يموت فهو الحى الباقى.

﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[غافر : ٦٥]

وفى آية الكرسى معنا :

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾

فالبداية هنا ذكر الله **أولاً** لأننا عندما نسمع قوله تعالى الله ، نعرف ثبوت اسمه تعالى أولاً وكان يكفى ولكن زيادة فى الثبات ذكر أنه هو الحى وغيره يموت فيقول سبحانه وتعالى هو الحى القيوم، وغيره لا حياة لهم كالأصنام وغيرها من الأوثان.

والحى القيوم اسم الله يقضى به على عبادة الأصنام التى ليس لها حياة وبقوله فى آية الكرسى لا تأخذه سنة ولا نوم يقضى بها تماماً على عبادة الإنسان لأن حياة الإنسان يقطعها النوم ويقضى عليها الموت فلايصح أن يكون إله وبذلك يثبت الله

لنفسه صفات الكمال والجلال والجمال وفى الوقت نفسه ينفى عن غيره كل هذه الصفات ويبقى هو الحى القيوم.

إن اسم الحى مشتق من الحياة يعنى أنه سبحانه وتعالى دائم الحياة وله البقاء المطلق هو الحى الذى لا يسبق وجوده عدم ولا يدرك بقاءه فناء ولا تأخذه سنة ولا نوم وكل حى يستمد من الحى القيوم الحياة ولايحيا الإنسان إلا باستجابته لله ولرسوله ، وهو القيوم لأنه القائم بتدبير أمور خلقه مع احتفاظه سبحانه باسم العلى العظيم إلا أنه يهتم بأمور رزقهم وتلبية حاجاتهم ، وجلب المنافع لهم ودفع المفاسد عنهم مع هدايتهم وتعليمهم مع بقائه هو العلى العظيم.

ويقول الله تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[هود: ٦]

وكونه سبحانه وتعالى مسئولاً عن أرزاق كل دابة تدب على الأرض؛ ذلك لأنه قيوم وقائم على مصالح غيره وقائم على شأن العباد وهدايتهم وتهذيبهم وتقويمهم فهو يقوم على غيره ولا يقوم عليه أحد ويقوم غيره ولا يقومه أحد لأنه هو الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض يملك كل شىء.

فهو المتفرد بالحياة عن غيره باسمه الحى، ومتفرد بأعماله وأفعاله وخلقه فى اسمه القيوم الذى فيه صفة الكمال وأن حياة الحى القيوم سبحانه وتعالى لا يشوبها أى نقص إنما حياة الحى سبحانه تنفرد بالكمال والجمال والحياة الكاملة الدائمة.

إن كلمة حى من الممكن أن تكون فى حق الأحياء ولأن حياتنا ناقصة منقطعة بالنوم أو بالموت؛ لذا تخلو كلمة حى من الألف واللام، أما سبحانه وتعالى فحياته كاملة فهو الحى الذى لا تنقص حياته بالنوم أو الموت كما نرى اسمه الحى لا ينقصه الألف واللام فإن الألف واللام (الـ) لا تجوز لنا نحن إنما هى لاسم الله ولذلك نجد كلمة الحى فى آية الكرسى معرفة بالألف واللام (الـ) لاختصاص الله تعالى بهذا، وأما كل حى فهو ميت مهما طالت حياته ويقول سبحانه:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[آل عمران : ١٨٥] .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[العنكبوت : ٥٧] .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾[الأنبياء : ٣٤] .

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[الزمر : ٣٠] .

ولما كانت كل نفس لابد أن تموت حتى ولو كان ملكا متوجاً فلابد لنا أن نفهم أن الله هو الحى الباقى ؛ وهذا شاعر عربى كان ملكاً على قومه فلما حضرته المنية قال لأبنائه :

أبنى إن أهلك فإننى ... قد بنيت لكم بنية

وتركتكم أولاد سا ... دات زنادكم ورية

ولكل ما نال الفتى ... قد نلته إلا التحية[1]

والمؤمن يستمد حياته من الإيمان ، فالاستقامة حياة وفلاح يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[الأنفال : ٢٤]

أن هذه الآية الكريمة تبين أن دعوة الرسول هى نفسها دعوة الله، وأن استجابتنا للرسول هى استجابة للحياة لأنه يعلمنا والعلم حياة والجهل موت .

والدليل على أن دعوة الرسول ﷺ هى نفسها دعوة الله هو ما جاء فى قوله تعالى ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ مع أن الأمر بالاستجابة كان للّه وللرسول ومع ذلك قال سبحانه وتعالى ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ ولم يقل سبحانه وتعالى إذا دعواكما معنى ذلك أنه سبحانه وتعالى لم يفرق بين دعوته ودعوة الرسول وجعلها دعوة واحدة .

ويقول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

(١) إلا التحية : بمعنى إلا البقاء الدائم لأنه لله وحده.

وميت الأحياء هو الكافر الذى لم يستجب لدعوة الرسول للتوحيد أو إلى الإيمان بالله الحى القيوم لذلك فإننا لا نعبد إلا الحى الذى لا يموت.

إن اسم الله الحى نراه فى كل شىء حولنا نراه فى قلوبنا التى تنبض بالحياة وإن الذى لا يرى الحى القيوم فى نفسه أو فى المخلوقات التى تحيا بسر اسمه الحى فقد غفل عن مصدر الحياة وأساسها، وحياة الكون التى تستمد من اسمه تعالى (الحى).

ولما كان الحى سبحانه وتعالى يقوم بتدبير خلقه ويقوم على أرزاقهم وعلى أمنهم فكان بهذه المشيئة هو الحى القيوم فهو الذى يعطى جميع خلقه ولا ينتظر منهم العطاء وأن كل الموجودات من معدن وحيوان ونبات وإنسان مفتقر إليه، ومن حكمة الحى القيوم أن الكون يمشى فى نظام وميزان دقيق تحقيقاً لقول الله تعالى.

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[1] [يس: ٣٨-٤٠].

لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر : يعنى مع أن الشمس شىء عظيم وضخم عن القمر ولكن الله الحى القيوم علمها النظام والأدب فلا يجعلها تسبق القمر وتطلع لنا بالليل لأنه لو حدث ذلك وظهرت الشمس بالليل مع القمر كان ذلك خروجاً على النظام ولكن نظام الكون بيد الحى القيوم، إن اسم الحى القيوم هو استغاثة الملهوف وفيه نجدة الغريق ونصرة الضعيف فكان دعاء أهل البحار ودعاء النجدة والغوث وهو الدعاء باسم الله الحى القيوم فإذا هبت العواصف وتلاطمت أمواج البحر ظهر لراكبى السفينة شبح الموت لذلك يستغيثون باسم الله الحى القيوم طلباً للحياة باسم الحى وطالباً لدوام حفظه لهم حتى النهاية باسم القيوم.

إن الله سبحانه وتعالى باسمه الحى القيوم يبقى هو الحى القيوم فى الدنيا وفى الآخرة لأنه لا يموت، أما الإنسان إذا مات يطلق عليه الميت أو الأمانة أو الخشبة أو الجنازة أو المرحوم.

---

(١) العرجون القديم : هو العود الذى يحمل البلح فى النخلة ولونه أصفر باهت.

واسم الله القيوم : القيوم مبالغة فى القيام ذلك لأنه يقوم على جميع خلقه فيقوم على الظالم بالقهر، وعلى المؤمن بالعطف، وعلى السائل بالإحسان وقائم على المذنب التائب بالمغفرة.

والله سبحانه وتعالى هو الحى القيوم يوم القيامة فهو قيوم بالعذاب على أصحاب النار وقيوم بالنعيم على أصحاب الجنة.

وجعل الله لنا النوم ثم اليقظة لنشعر بأن الله هو الحى القيوم الذى يميتنا بالنوم ثم يحيينا باسم الحى، لذلك كان رسول الله ﷺ يذكر اسم الله الحى عند قيامه من النوم وجاء ذلك فى الحديث الشريف.

حدثنا مسلم، حدثنا شعبة ، عن عبدالملك، عن ربعى عن حذيفة قال: كان النبى ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال:

«اللهم باسمك أحيا وأموت وإذا أصبح قال: الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[البخارى- كتاب التوحيد].

ولذلك يجب على كل نائم يتمتع بنعمة النوم أنه إذا قام من نومه يوحد الحى الذى لا يموت الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، وهو الحارس القائم على أمنك وأمانك وأنت نائم.

فهو سبحانه وتعالى الحى بحق، وقيوم بحكمة ، ومالك بعلم ، وملك بقدرة وعالم بذاته، وحفيظ بعظمته.

لذلك من شدة وضوح النور الإلهى والتوحيد المركز فى آية الكرسى فإننا لا نستطيع أن نرى أى أثر لغير الله لأنه لكونه هو الحى القيوم فهو يقضى بذلك على جميع الأصنام الخالية من الحياة التى لا تضر ولا تنفع ، فهو سبحانه وتعالى المتفرد بصفة الحياة والأصنام لا حياة لها ، ونفى الحياة عن الأصنام تنفى عنها جميع الصفات الأخرى.

نفهم من ذلك أنه يجب عليهم تقديم الحمد والشكر والعرفان للحى القيوم قيوم السماوات والأرض ومن فيهن كما قال رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف:

حدثنا على بن عبدالله قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا سليمان بن أبى مسلم عن طاؤس سمع ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان النبى ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال:

«اللهم لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض وما فيهن، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك»[البخارى- كتاب التهجد].

إن القرآن الكريم ملىء بالقوة المنقذة من الكفر والهلاك والضياع ومن أراد لنفسه النجاة والفوز فعليه أن يتعلق بآية الكرسى لأنها هى العروة الوثقى ومن تمسك بها رفعته بعيداً عن الهلاك ووصلت به إلى بر السلامة والسلام.

ولما كانت آية الكرسى فيها الدلائل القوية على وحدانية الله سبحانه وتعالى فكانت هى العروة الوثقى التى ترفع صاحبها من الوضاعة إلى العلو، وفى الكفر إلى الإيمان ومن الموت إلى الحياة الأبدية.

إن حروف كلمات آية الكرسى هى سهام نارية تصوب على صدور الشياطين وهى حبال النجاة للمتقين ولكل من قرأ كلماتها الحافظة من كل شيطان رجيم ففيها رحمة للمؤمنين وطاردة للشياطين ؛ لأن التوحيد فيها مركز وعظيم وقوى ومتين، وآية الكرسى هى آية الأساس وأساس التوحيد هو ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ وأساس البرهان هو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم - وأساس دوام ملكه هو العلم الذى يسع السماوات والأرض ويعلم ما بين أيديهم وما خلفهم - ولا يتعبه ولا يشق عليه حفظ السماوات والأرض ولذلك لم يتخذ ولداً ولاشريك يساعده فى الملك وفى النهاية هو العلى العظيم.

إن كل المخلوقات ستموت يوم القيامة ويبقى الله هو الحى القيوم . . حتى الموت سيموت وذلك ليزداد أهل الجنة فرحاً لخلودهم بلاموت، ويزداد أهل النار حزناً لخلودهم فى العذاب كما جاء فى حديث رسول الله ﷺ :

حدثنا معاذ بن أسد أخبرنا عبدالله أخبرنا عمر بن محمد بن زيد عن أبيه أنه حدثه عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جئ بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة لاموت يا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم**» [البخارى ـ كتاب الرقاق - باب : صفة الجنة والنار] .

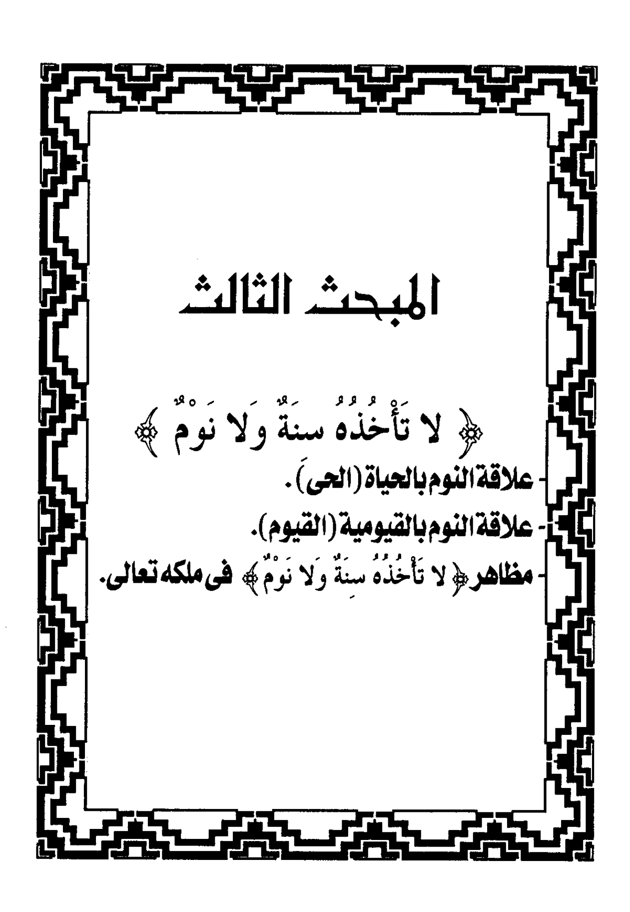
ولقد خلق الله سبحانه وتعالى الموت والحياة فى قوله تعالى:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾[**الملك** : ١، ٢] .

فعندما يستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح والأملح هو الذى نجد فيه بياضاً وسواداً فالبياض يرمز لأهل الجنة والسواد يرمز لأهل النار ويذبح هذا الكبش الذى يرمز للموت بين الجنة والنار ثم ينادى مناد يقول يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت، وبذلك يطمئن أهل الجنة على حياتهم الخالدة لأن الموت لو استمر حياً لنغص حياتهم ولكنهم بعد فناء الموت يطمئن أهل الجنة ويفرحون وفى نفس الوقت يزداد أهل النار حزنا فى حزنهم لخلودهم فى النار ، وفى حديث أنس رضى الله عنه:

ثم يأتى ملك الموت فيقول :

«**رب بقيت أنت الحى القيوم الذى لا يموت**» فيقول الله تعالى «**أنت خلق من خلقى فمت ثم لا تحيا**» فيموت الموت ، وبذلك يبقى الله هو الحى القيوم وحده لاشريك له .



المبحث الثالث

﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾

- علاقة النوم بالحياة (الحي).
- علاقة النوم بالقيومية (القيوم).
- مظاهر ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ في ملكه تعالى.



﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾

ومعنى ﴿لا تَأْخُذُهُ﴾ يعنى أن السنة أو النوم لايبعد بسببهما بعيداً عن ملكه فلا تأخذه السنة فى عالم آخر يغفل فيه عن أحواله وأحوال ملكه فهو سبحانه لاتسيطر عليه سنة ولا نوم فهو سبحانه لا يقوم فقط فى زمن معين ثم يرتاح فى وقت آخر إنما هو الحى القيوم قياماً دائماً ومستمراً لاينقطع بنوم ولاينتهى بموت.

أما الحاكم أو السلطان من البشر لو أتاه النوم أصبح النوم هو السلطان الذى يأخذه بعيداً عن نفسه وعن ملكه وأصبح السلطان مغيب عن عالم الدنيا وبذلك قهر النوم السلاطين لذلك قالوا (النوم سلطان) لأنه يغلب السلطان نفهم من ذلك أن الإنسان مهما كان له حكم فى الأرض أو قوة قهر لايصلح أن يكون سلطاناً أبداً. ولذلك جاء الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾ ليمنع بذلك اتخاذ الملوك فى الأرض آلهة، أما هو سبحانه فهو الحى الدائم الذى لاينام ولاتأتيه السنَة وهى مقدمات النوم من نعاس وفتور فقد نفى الله عن نفسه السنَة وهى مبادئ ومقدمات النوم لكى يتأكد لنا أنه سبحانه وتعالى لايمكن أن ينام فقدم سبحانه وتعالى منع السنة قبل النوم لأن منع القليل يؤكد منع الكثير.

ومعنى الأخذ فى قوله «لاتأخذه» نستشعر منه القضاء عليه، لأن من نام من السهل القضاء عليه وعلى ملكه لأن النائم يصبح فى حكم غيره الذى يتحكم فيه ويقضى عليه. والنوم أخ الموت أو هو موتة صغرى، والنوم يسمى «برداً» ذلك لأن النائم تنخفض درجة حرارته ويبرد جلده وذلك لسكون حركته، وقد جاء النوم بمعنى البرد فى سورة النبأ فى قوله تعالى: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا﴾[النبأ: ٢٤].

وتعنى الآية الكريمة أن الكفار وهم فى النار لايذوقون فيها نوماً (برداً) ولا شراباً. والرجل العربى يقول: منعنى البرد من البرد يعنى منعنى البرد القارص من النوم (البرد).

والنوم للإنسان طبع فيه خلقه الله سبحانه وتعالى ليقطع الإنسان به عمله ولذلك كان نوم الإنسان سباتاً أى فيه قطع الأعمال حتى يستريح الإنسان.

والنوم للإنسان يجعله يغفل عن ملكه وعن نفسه والإنسان من الممكن أن يغفل عن الحق وهو يقظان أما الله سبحانه لايغفل عن الحق لأنه هو الحق وهو القائم على كل نفس بما كسبت.

ولما كانت السِّنة هى التى تأتى قبل النوم فقد نفى الله سبحانه وتعالى عن نفسه السنة وهى مقدمات النوم، وبذلك فقد أجاب الله سبحانه على السؤال من قبل أن يقال وهو أن بعضهم يقول إن الله لاينام ولكن من الممكن أن تأخذه سنة من النوم فقال سبحانه وتعالى لاتأخذه سنة: فقالوا من الممكن أن ينام بدون مقدمات ويدخل فى النوم مباشرة فقال سبحانه «ولانوم» وبذلك أحكم الله كلماته وآياته وبذلك نفى عنه السنة والنوم معاً.

ومع أن نفى السِّنة تنفى النوم الذى بعدها وكان من الممكن الاكتفاء بنفى السِّنة فقط ولكن هناك من يقول إن هناك من النوم الذى يهجم على الإنسان بدون مقدمات لذلك قال سبحانه وتعالى "ولانوم".

وبذلك فقد نفى الله سبحانه وتعالى عنه النوم مرتين مرة بعد السنة ومرة بدون سنة ولذلك فقد تكررت كلمة (لا) مرتين مرة لنفى السنة ومرة لنفى النوم منفردين ونفى كليهما معاً ونفهمه من قول الله تعالى: ﴿ **لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ** ﴾.

وعن النوم يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا** ﴾[**الفرقان**: ٤٧].

وجعل الله سبحانه وتعالى النوم مقطعاً ليرتاح الإنسان من العمل، ثم يستيقظ، وهكذا نموت ونحيا كل يوم، لأن النوم أخ الموت واليقظة بعث بعد الموت، لذلك يقول الله تعالى:

﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ** ﴾[**الأنعام**: ٦٠].

وهذا هو النوم الذى هو كالموت وهو فى قوله تعالى ﴿ يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾ ولما كان القيام من النوم يشبه البعث قال سبحانه وتعالى:

﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾[الأنعام: ٦٠].

ولما كان النوم فى مقدار الحاجة إليه من أنفع الأشياء قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾[النبأ: ٩]

إن السبات هو السكون والانقطاع عن العمل منه كان يوم السبت ذلك لأن اليهود كانوا ينقطعون عن العمل فى هذا اليوم لذلك سمى بيوم السبت تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣]

﴿يَوْمَ لا يَسْبِتُونَ﴾ أى يوم لا يفعلون ما يجب فى شرعهم فى هذا اليوم.

إن نوم الإنسان سر من أسرار الله سبحانه وتعالى فالنوم يأخذ الإنسان من عالم الدنيا إلى عالم آخر، وفى النوم يسلم الإنسان أمره كله لله الذى لا تأخذه سنة ولا نوم، وكان النبى ﷺ إذا نام فإنه ينام على شقه الأيمن ثم يسلم أمره كله لله سبحانه وتعالى كما جاء فى الحديث الشريف.

حدثنا مسدد حدثنا عبدالواحد بن زياد حدثنا العلاء بن المسيب قال: حدثنى أبى عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن ثم يقول: **«اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت وقال رسول الله ﷺ من قالهن ثم مات فى ليلته مات على الفطرة»** [البخارى - كتاب الدعوات].

والنبى ﷺ لأنه يعرف أن النوم هو موتة صغرى وأن قيامه من النوم هو البعث والحياة لذلك كان إذا قام من نومه حمد الله الحى الذى لا ينام كما أخبرنا فى الحديث الشريف.

حدثنا مسلم، حدثنا شعبة، عن عبدالملك عن ربعى عن حذيفة قال: كان النبىﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: «**اللهم باسمك أحيا وأموت**» وإذا أصبح قال: «**الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**»[البخارى - كتب التوحيد].

وهكذا فقد استعاذ النبى ﷺ باسم الله الحى القيوم وقال: اللهم باسمك أحيا وأموت.

وقد علمنا النبى ﷺ أن الذى يذكر الله كثيراً بأسمائه الحسنى هو الذى يحيى حياة طيبة حياة إيمانية أما الذى لا يذكر الله فهو ميت لأنه لا ينطق ولا يحس ولا يسمع ولا يرى جمال الله عز وجل وجمال أسمائه الحسنى التى بذكرها ترتقى أخلاقنا وتصلح بها أعمالنا، وتستقيم حياتنا.

حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن بريد بن عبدالله عن أبى بردة عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ «**مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت**» [البخارى - كتاب الدعوات].

وفى النوم أسرار كثيرة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ولا يحيطون بأسرار النوم إلا بما شاء الله أن يعلمهم به، والرؤيا المنامية قد لعبت دوراً مهماً فى بداية الرسالة المحمدية، ولقد بدأ النبى ﷺ رسالته بالرؤيا الصادقة فكان يأتيه الملك جبريل عليه السلام فى الرؤيا لكيلا ينزعج النبى ﷺ من الملك عندما يأتيه فى الحقيقة، وذلك مصداقاً لقوله لما جاء فى الحديث الشريف.

حدثنى عبدالله بن محمد حدثنا عبدالرازق أخبرنا معمر عن الزهرى وقال الليث حدثنى عقيل قال محمد أخبرنى عروة عن عائشة رضى الله عنها «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة جاءه الملك فقال ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾»
[أخرجه البخارى - كتاب التفسير]

ومعنى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ تلقى أول تعليمات الرسالة وهو نائم فى الرؤيا وهى رؤيا صادقة، وقد استمرت هذه الحالة مع الرسول الكريم لمدة ستة أشهر وبعدها جاءه الملك فى اليقظة.

وبفضل حبنا واتباعنا لرسول الله ﷺ فقد أكرم الله سبحانه وتعالى الرجل الصالح بالرؤيا الحسنة يطلعه الله فيها وهو نائم على بعض الأحداث المستقبلية وذلك من باب ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. والنوم فيه فرصة لتحرير الروح من الجسد وتصبح كالعصفور الذى يخرج من قفصه ليتنزه بين جنبات البرزخ تلتقى الروح وتتعارف مع الأرواح التى على شاكلتها من الطهارة والنقاء، وتتلقى الروح فى النوم المعارف النورانية والبشارات الربانية من الله سبحانه وتعالى ولا يحدث ذلك إلا للصالحين الأولياء المتقين الذين لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، وقد جاءت هذه الحقائق فى الحديث الشريف.

حدثنا بن عبدالله بن مسلمة عن مالك عن إسحاق بن عبدالله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال:

«الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»

[البخارى - كتاب التعبير - باب رؤيا الصالحين]

وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: « بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشر سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين».

[أخرجه البخارى - كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة]

من هذا الحديث الشريف نفهم أن النبى ﷺ نزل عليه الوحى وهو ابن أربعين ومات، وهو فى سن الثلاثة والستين يعنى أن عمر الرسالة التى فيها الوحى كان ٢٣عاماً ، وهذه المدة لو قسمناها على ٤٦ جزءاً، لكان الجزء عبارة عن ٦ أشهر.

نفهم من ذلك أن أول ما بدئ به الوحى هى الرؤيا الصادقة فى الجزء الأول من رسالة النبى ﷺ ومقداره ٦ ستة أشهر، وكان يأتيه الوحى فى المنام، ولذلك قال رسول الله ﷺ أن الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح أثناء نومه هى جزء من ٤٦ جزء من النبوة.

فالرجل الصالح أكرمه الله كذلك بجزء مما أُكرم به الأنبياء، وهى الرؤيا الصالحة، وهذه الأحوال كلها من أسرار النوم.

أما سبحانه وتعالى فلا تأخذه سنة ولا نوم ومع ذلك يعلم ما فى السماوات وما فى الأرض ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء له أن ينكشف فى المنام لمن يختاره من الصالحين.

ومن أسرار النوم أيضاً أن الذى يرى النبى ﷺ فى منامه فقد رآه حقاً ذلك لأن الشيطان لا يتمثل بالنبى ﷺ وذلك كما جاء فى الحديث الشريف:

حدثنا معلى بن أسد ، حدثنا عبدالعزيز بن مختار ، حدثنا ثابت البنانى، عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **« من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة»**

[البخارى - كتاب التعبير]

فبشرى ثم بشرى لكل من رأى النبى ﷺ فى منامه وتمتع بنوره وجمال وجهه الكريم لأن جماله من جمال الله ونوره من نور الله سبحانه وتعالى.

ولما كانت آية الكرسى هى أساس التوحيد الذى إذا تمسكنا به لن نضل بعده أبداً لذلك كله كانت آية الكرسى هى العروة والوثقى التى يجب أن تستمسك بها طلباً للنجاة.

وقد جاء فى الحديث الشريف أن عبدالله بن سلام قد تمسك بالعروة الوثقى فى المنام.

حدثنى عبدالله بن محمد حدثنا أزهر عن ابن عون وحدثنى خليفة حدثنا معاذ حدثنا ابن عون عن محمد حدثنا قيس بن عباد عن عبدالله بن سلام قال: رأيت كأنى فى روضة ووسط الروضة عمود فى أعلى عروة فقيل لى : أرقـــه. قلـت: لا استطيع فأتانى وصيف فرفع ثيابى فرقيت فاستمسكت بالعروة فانتهيت وأنا مستمسك بها فقصصتها على النبى ﷺ فقال: **« تلك الروضة روضة الإسلام وذلك العمود عمود الإسلام وتلك العروة العروة الوثقى لا تزال مستمسكاً بالإسلام حتى تموت»**[البخارى - كتاب التعبير - باب التعلق بالعروة والحلقة].

ونلاحظ أن آية الكرسى إذا تمسكنا بها فكأنما تمسكنا بالعروة الوثقى التى ترفعنا معها إلى أعلى عليين لأن أول آية الكرسى الله العلى وآخرها هو العلى العظيم أيضاً

فهى مرفوعة فى إحدى طرفيها ومرفوع ما بينهما ومرفوع من تمسك بها لأنها هى العروة الوثقى ولذلك قد جاءت الآية التى بعد آية الكرسى يقولة الله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا ﴾[البقرة٢٥٦].

وقد كانت الرؤيا المنامية لها أثرها عند الأنبياء والمرسلين فسيدنا يوسف عليه السلام منحه الله تفسير الرؤيا فكانت هذه المنحة فيها خروجه من السجن وفيها ثقة ملك مصر فيه وفى أمانته على خزائن الأرض. وقد رأى فى المنام أحد عشر كوكبا، وهم أخوته والشمس والقمر وهما أبوه وأمه رآهم جميعاً خاضعين له معترفين له بالنبوة والصلاح والتميز تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[يوسف: ٤].

وهذه الآية الكريمة فيها بشرى فى المنام لسيدنا يوسف عليه السلام، وهذه الرؤيا يستحب أنها لا تقال إلا لمن يحب ولا تقال لمن يحقد أو يحسد لذلك قال له والده بقول الله تعالى:

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[يوسف: ٥].

وقد رأى سيدنا إبراهيم عليه السلام فى المنام أنه يذبح ولده إسماعيل عليه السلام فى المنام وهذا سر من أسرار النوم لأن رؤيا الأنبياء من الوحى لذلك صدق إبراهيم الرؤيا كما قال الله تعالى:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾[الصافات:١٠٢].

لقد اختبر الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم وولده إسماعيل باختبار واحد فهذا الذى يذبح وهذا المذبوح وكل أسلم وجهه للَّه فإبراهيم أسلم وجهه للَّه ليذبح ابنه وابنه أسلم للَّه وأطاع والده لأنه أمر من الله تعالى وكلاً منهما لا يعلم ما تخبأه الإرادة الربانية من رحمة الله تعالى لهما بالفداء فنجحا فى الاختبار.

إن الأب إبراهيم يحب ولده وولده يحبه ولكن حب الله وطاعته كانت فى قلب النبى وولده هى الأقوى فكانت رحمة الله وحبه لهما أعلى وأجل حين فدى إسماعيل بالذبح العظيم حيث قال الله سبحانه:

﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[**الصافات** :١٠٧] .

ومن أسرار النوم أن النبى ﷺ رأى فى المنام أنه يمسك بيده مفاتيح خزائن الأرض وأن من يمسك بمفاتيح فى المنام فيه إشارة أنه سيصبح له منصب فيه حكم وسلطة ، وقد جاء ذلك فى الحديث الشريف.

حدثنا سعيد بن عقير حدثنا الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب أخبرنى سعيد ابن المسيب أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« **بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت فى يدى**» قال أبو عبدالله : وبلغنى أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التى كانت تكتب فى الكتب قبله فى الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك [البخارى-كتاب التعبير] .

وقد بين لنا الرسول الكريم الرؤيا الحسنة من غيرها فى الحديث الشريف.

حدثنا سعيد بن الربيع حدثنا شعبة عن عبد ربه بن سعيد قال سمعت أبا سلمة يقول: لقد كنت أرى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت النبى ﷺ يقول:

«الرؤيا الحسنة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب وإذا رأى ما يكره ليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثاً ولا يحدث بها أحداً فإنها لن تضره»[البخارى - كتاب التعبير] .

الرؤيا تمرضنى : يعنى ألقى وأعانى منها شدة وتعب.

هذا الحديث الشريف نستفيد منه أننا إذا رأينا الرؤيا الحسنة فلا نحدث بها من لا يحبنا فقد يفسرها لنا بما لا يستحب حسداً منه أو بغضاً فيعجل لنا النكد والحزن.

فإذا رأى أحدكم رؤية فقصها على أخيه فليقل: خير لنا وشر لأعدائنا . ومن حديث ابن زمل الجهنى (بكسر وسكون الميم) كان رسول الله ﷺ إذا صلى

الصبح قال: **«هل رأى أحدمنكم شيئاً ؟»** قال ابن زمل: فقلت أنا يا رسول الله. قال: **«خيراً تلقاه وشراً تتوقاه وخير لنا وشر على أعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك»**.

وقد ذكر أئمة التعبير أن من أدب الرائى أن يكون صادق اللهجة وأن ينام على وضوء على جنبه الأيمن وأن يقرأ عند نومه سورة الشمس والليل والتين وسورة الإخلاص والمعوذتين ويقول: « اللهم إنى أعوذ بك من سىء الأحلام واستجير بك من تلاعب الشيطان فى اليقظة والمنام اللهم إنى أسألك رؤيا صالحة صادقة نافعة حافظة غير منسية اللهم أرنى فى المنام ما أحب» ولا يقصها على امرأة ولا عدو ولاجاهل.

وقد سمى تفسير الرؤيا بالتعبير لأن التفسير يصل من ظاهر الرؤيا إلى باطنها يعنى يعبر من ظاهر الرؤيا إلى فهم باطنها أو ما ترمى إليه من معانى.

والعبارة سميت بهذا الاسم لأنها تعبر بسامعها من شاطئ عدم المعرفة إلى المعرفة. وسيدنا يوسف عليه السلام قد منحه الله التعبير تحقيقاً لقول الله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾[**يوسف**: ٦].

وقد قام سيدنا يوسف عليه السلام بتفسير رؤيا الملك ورؤيا فتيان السجن.

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴾[**يوسف**:٣٦].

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾[**يوسف**:٤٢].

﴿ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ يعنى للرؤيا تعرفون من رموزها ما يعبر عن الحقيقة التى ستحدث يعنى أن الرؤيا مجهولة لا تعرف فمن وصل بها إلى المعرفة فكأنه عبر بها من الجهل للعلم ومن الظلام إلى النوم ومن ظاهرها إلى معرفة باطنها ومن الرمز إلى حقيقة ما يرمز إليه فى الحقيقة وهذا كله سر من أسرار النوم.

والخلاصة مما تقدم أن النوم ضعف ونقص بعد تعب وهو لا يكون للَّه تعالى القائل ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ وها هو رسول الله ﷺ يقول:« **إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام**» وكان إذا أوى إلى فراشه يقول «**اللهم هذه نفسى فإن أمسكتها "أمتها" فاغفر لها وارحمها وأن أرسلتها "أبقيتها" فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**».

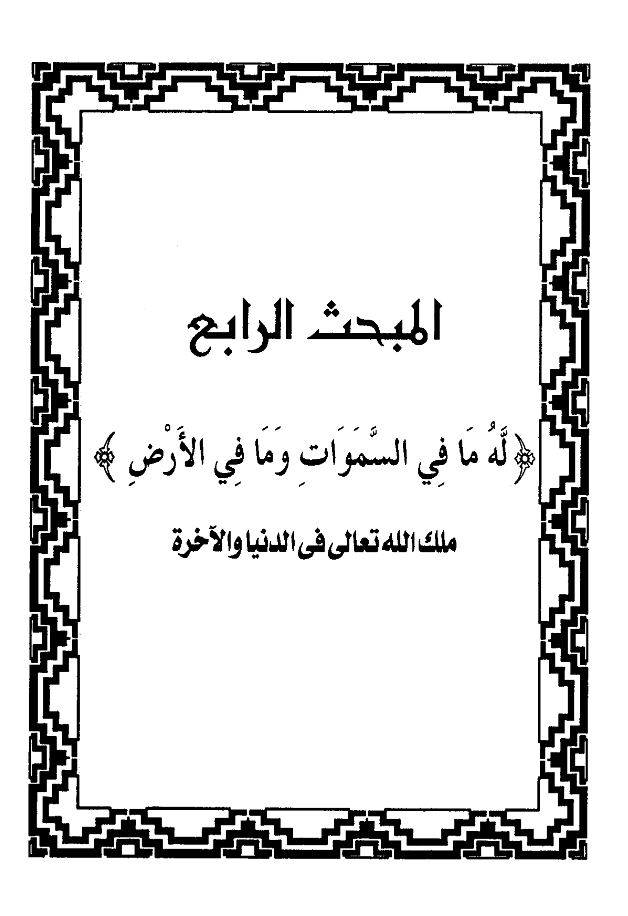
وأنك تلاحظ أن الله تعالى يرد على اليهود الذين اتهموه تعالى بالتعب، وأنه استراح يوم السبت بعدما خلق السموات والأرض ، فقال لهم:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق :٣٨] .

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[**الأحقاف** :٣٣] .

وعن أبى موسى الأشعرى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال :«**إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل النهار قبل الليل وعمل الليل قبل النهار، حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**» .

وقد سأل بنو إسرائيل سيدنا موسى عليه السلام : هل ينام ربك؟ قال: اتقوا الله، فناداه ربه : يا موسى سألوك هل ينام ربك فخذ زجاجتين فى يديك فقم الليل، فلما ذهب ثلث الليل نعس موسى فوقع لركبته ثم انتعش، وفى آخر الليل سقطت الزجاجتان فانكسرتا، فقال يا موسى: لو كنت أنام لسقطت السماوات والأرض، فهلكتا ، كما هلكت الزجاجتان بين يديك ، فسبحانك ربنا لا تأخذك سنة ولا نوم.



المبحث الرابع

﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾

ملك الله تعالى فى الدنيا والآخرة



﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾

أنهم لما قالوا أن فى السماء ملائكة يعرفون الغيب وملائكة تشفع لنا ، وقالوا إن فى السماء بروجاً نعرف منها الحاصل فى الغد.

فقال سبحانه وتعالى ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من ملائكة وهم عباد له سبحانه وله البروج التى فيها أقدار العباد وله كل ما فى السماوات.

ولما قالوا ولنا فى الأرض من أرض ومال قال سبحانه وتعالى له ما فى الأرض وهو الذى يملك كل شىء أنتم مستخلفون على كل ذلك برضاه وبإذن منه فيقول سبحانه وتعالى ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ وقوله تعالى "لَّهُ" يعنى يملك ما فى السماوات وما فى الأرض يعنى أنه سبحانه وتعالى يملك ما كتب فى السماء لأهل الأرض وله مايريد فى السماء، ويملك كذلك الملائكة المدبرات أمراً.

وهو الذى يصرف الشمس والقمر وجميع الكواكب الأخرى وإن رؤيتنا كل يوم للنظام الكونى فى السماء والأرض الدقيق المحكم يجعلنا نؤمن بالله سبحانه وتعالى أنه هو وحده المدبر الوحيد لهذا الكون وإن كل ما فى السماء وما فى الأرض فهو من خلقه وكل الخلق عبيد له سبحانه وتعالى وتحت قهره وسلطانه لأنه هو العلى العظيم وهو سبحانه وتعالى يصبح المالك والملك يعنى هو الذى له الملك وله الحكم، وإن قوله تعالى: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ هو توحيد الملكية والملكية للَّه وحده فكان بعد ذلك قول الله تعالى من هو الذى يتجرأ من كان فى ملك الله وبين حكمه أن يشفع عند الله إلا بإذنه وقال سبحانه وتعالى ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾.

يعنى بعدما ثبت أنه سبحانه يملك كل شىء فمن يغامر بعد ذلك، ويشفع عنده لأحد إلا بإذنه ، وقد قدم الله سبحانه وتعالى ملكيته لما فى السماوات قبل ذكر ملكيته للأرض وذلك لأن السماء هى التى فيها التدابير للأرض وفيها الملائكة المدبرات أمرا فإثبات ملكيته للسماء هو الدليل الأول على ملكيته للأرض.

والآيات الكريمات تعبر عن هذه الملكية للسماوات والأرض:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ [آل عمران : ١٠٩] .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾

[النساء : ١٢٦]

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾[النساء : ١٣٢] .

﴿ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾[النساء : ١٧١] .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[سبأ : ١] .

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[الشورى : ٤] .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾[النجم : ٣١] .

إن الله له كل الموجودات تنطق بلسان حالها تشهد بجلاله وجماله، له ما فى السماوات وما فى الأرض شهود على عباده فالأرض تشهد للذى يسجد عليها، والسماء تشهد لمن يتوجه إليها وتشهد لقارئ القرآن فى الفجر لأن قرآن الفجر كان مشهوداً لجميع الملائكة والسماوات والأرض كما أنها تشهد يوم القيامة على علو الدرجة والفضل لكل من فعل الحسنات فهى كذلك تشهد على فضائح المجرمين والمشركين. وكذلك له ما فى السماوات من علم الغيب ومن علم الظاهر والباطن تحقيقاً لقول الله تعالى:

﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[البقرة : ٣٣] .

والله سبحانه وتعالى يعلم ما يحدث فى السماوات وما فى الأرض من إبداع وخلق ومن تحركات لخلقه لأنه وحده هو الحى القيوم أما غيره لا يملك هذه الصفات الإلهية.

ولما كان سبحانه وتعالى هو وحده خالق كل الوجود لذلك استحق منا السجود والخضوع، وإن أفضل ما فى الوجود هو الإنسان فإذا سجد الإنسان للّٰه سبحانه فإن سجوده يعبر عن سجود الملك متمثلاً فى الجسد وسجود الملكوت فى سجود وخضوع النفس لله سبحانه وتعالى فسجود المادة التى هى من الأرض فى سجود الأجساد وسجود السماء فى خضوع الأرواح والنفوس.

نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى كرر قوله تعالى «ما فى السماوات» وقوله «ما فى الأرض» ذلك لأن ما فى السماوات يختلف عن الذى فى الأرض إن معرفتنا بأنه سبحانه يملك السماوات والأرض يجعلنا نطمئن على أنه لا إله إلا هو الحى القيوم، ولذلك نطمئن على استقرار نظام الكون من حولنا وبذلك يستقر فى قلوبنا جلال وجمال الله عز وجل ومن قوله تعالى ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ «نعلم أن ما نملكه من بيت أو أرض أو مال إنما هو ملك للّٰه وحده ونحن فقط مستخلفون فيه، وهذه ملكية لله وحده، ونحن أمناء عليها فقط، وإذا ارتقى علمنا نعلم ونعترف أننا روح وجسد ونفس ملك لله تعالى وحده وليس لنا فى أنفسنا شىء نملكه، وهذه الحالة لا يصل إليها إلا الأولياء والأنبياء والصالحون وهم الذين لا يغضبون ولا ينزعجون من نقص فى الأموال أو نقص فى الأنفس وإنما يقولون كما علمهم الله سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾[**البقرة**: ١٥٦].

فطالما أننا للّٰه يعنى من صنع الله فهو يملكنا وهو الذى أخذ ما يملك فكيف نبكى أو نحزن على فقد الأشياء التى لا نملكها أما إن حزن الإنسان على شىء، فهو الذى ظلم نفسه باعتقاده أنه المالك ونسى أن المالك هو الله وأن جزاء نسيانه الحزن والغم والهم.

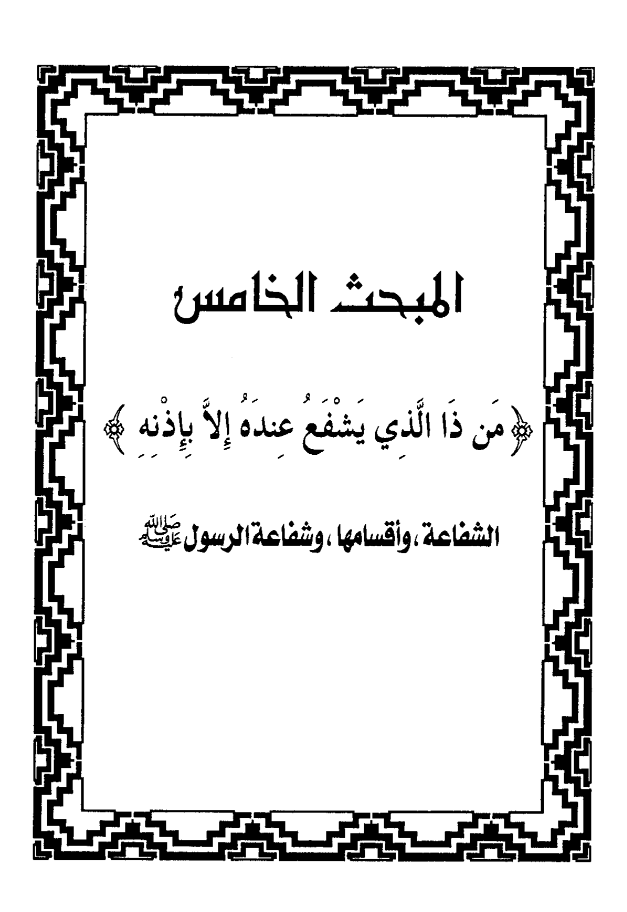
أما الذى يؤمن بأن كل شىء للّٰه فإذا فقد الشىء صبر واحتسب وفوض أمره إلى الله سبحانه وتعالى، وأنه علم أن للّٰه ما أخذ وله ما أعطى إن فى قوله تعالى ﴿ **لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ فيه تحذير لكل الناس لكيلا يتخذوا من دون الله أى إله كالملائكة مثلاً لأنهم بذلك يعبدون من هو مملوك للّٰه سبحانه وتعالى ولكن الحق والعدل أن نعبد ملك الملوك ومالكهم ويقول الله تعالى:

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[الرعد: ١٦].

نفهم من الآية الكريمة أننا لا يجب أن نتخذ أى إله من دون الله سبحانه وتعالى رب السماوات والأرض ، وإلا أصبحنا لا نرى الحق سبحانه وتعالى، وهو الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار الذى له يسجد من فى السماوات والأرض طوعاً وكرهاً، وهو سبحانه وتعالى الملك الحق فى الدنيا والآخر وكل الملوك إلى فناء كما جاء فى الحديث الشريف.

حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبدالله أخبرنا يونس عن أبى سلمة حدثنى سعيد ابن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**»؟!

[أخرجه البخارى - كتاب الرقاق - رواه نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ]



المبحث الخامس

﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾

الشفاعة، وأقسامها، وشفاعة الرسول ﷺ



﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾

يقول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[الزمر: ٣].

ولذلك قال سبحانه وتعالى لا يشفع أحد لأحد إلا بإذنه سبحانه وتعالى. ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى لم ينف الشفاعة، ولكنه سبحانه نفى فقط الشافع إلا بإذنه تحقيقاً بقول الله تعالى:

﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[الأنبياء: ٢٨].

ويقول الله تعالى:

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[النجم: ٢٦].

ويقول الله تعالى:

﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[النبأ: ٣٨].

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَ لَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: ٤٢]

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[الزمر: ٤٤].

وكلمة تُرجعون هنا فى هذه الآية الكريمة "بضم التاء" تعنى رجوعهم بالقوة والقهر أما قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[البقرة: ٤٦].

فكلمة راجعون تدل على رجوعهم برضاهم، رجوعهم بإيمان أنهم راجعون فرجعوا دون قوة ولا قهر، رجعوا إلى ربهم لأنهم آمنوا أنه لابد لهم أن يرجعوا إلى ربهم. فرجعوا إليه فى الدنيا قبل الآخرة فلهم بذلك الفضل العظيم.

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي﴾ يعنى ذلك استبعاد لأى مخلوق أن يشفع بدون رغبة الله ورضاه، نفهم من ذلك أن الشفاعة تكون من خلال رحمة الله سبحانه وتعالى، فالشفاعة فرع من فروع تصريف رحمته لخلقه، وفى الشفاعة تقوية من الشافع الطائع أو الشافع المحبوب لدى الله سبحانه وتعالى تقوى موقف من يشفع له عند الله وذلك تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾[يونس: ٣].

﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[طه: ١٠٩].

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[الزمر: ٤٤].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[الأنبياء: ٢٨].

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾[النجم: ٢٦].

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[النبأ: ٣٨].

يوم يقوم جبريل عليه السلام رئيس الملائكة وأمامه الملائكة صفا يقفون بنظام يتبعون الأدب مع النظام، فهم لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وكلمة (صفا) فى الآية الكريمة دلت على النظام وكلمة (لايتكلمون) دلت على أدب الملائكة الأطهار فى حضرة الجبار سبحانه وتعالى والإنسان المذنب يوم القيامة هو أكثر المخلوقات طلباً لرحمة الله فعليه الوقوف بنظام وأدب فى حضرة الرحمن سبحانه وتعالى.

نفهم من ذلك أن الشفاعة حقيقة موجودة، لكن الشافع لابد أن يكون محبوباً من الله حتى يسمح ويأذن له بالشفاعة لمن يحب من الناس.

وقد رضى الله سبحانه وتعالى لمحمد ﷺ أن يكون هو صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون، ولكن تنفع شفاعة سيد المرسلين وإمام المتقين وحبيب رب العالمين ﷺ والحديث الشريف يبين لنا ذلك.

«يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا ربنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم عليه السلام فيقولون أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا، فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته، ويقول ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله ، فيأتونه فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته، ائتوا إبراهيم الذى اتخذه الله خليلا، فيأتونه فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته، ائتوا عيسى، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ائتوا محمداً ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فيأتونى فأستأذن على ربى فإذا رأيته وقعت له ساجداً فيدعنى ما شاء الله ثم يقول: ارفع رأسك وسل تعط، وقل تسمع، واشفع تشفع، فارفع رأسى فأحمد الله ربى بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فَيُحَدُّ لى حداً آخر ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً مثله فى الثالثة أو الرابعة حتى ما يبقى فى النار إلا من حبسه القرآن» وكان قتادة يقول عند هذا : أى وجب عليه الخلود [البخارى - كتاب الرقاق - باب صفة الجنة والنار].

حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن الحسن بن ذكوان حدثنا أبو رجاء حدثنا عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال:« **يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين**».

[البخارى - كتاب الرقاق - باب صفة الجنة والنار]

فالجهنمى هو الذى دخل النار ثم خرج منها بشفاعة النبى ﷺ وهناك شفاعة قبل انصراف الناس إلى النار أو إلى الجنة.

وهناك شفاعة للنبى بالبشرى لبعض الناس بدخول الجنة وهم المبشرون بالجنة وهم فى الدنيا، وهناك شفاعة للقرآن الكريم للمؤمن داخل الجنة، فإذا قرأ آية فى القرآن ارتفع درجة فى الجنة حتى أن آخر درجة له عند آخر آية قرأها.

نفهم مما سبق أن كل الأنبياء وهم سادة الناس عندما يلجأ إليهم الناس يوم القيامة لينقذوهم من العذاب، فهم لا يتعرضون أصلاً للشفاعة، لأن الله أعلمهم بذنوبهم وأعلمهم أن الصالح لهذه المهمة هو النبى ﷺ الذى يرضى له الله قولاً فى هذا المقام.

وصدق الله العظيم حيث قال:

﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾[طه: ١٠٩].

وقوله تعالى «يومئذ» يعنى يوم القيامة ، يوم الموقف العظيم.

ويقول تعالى:

﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾[يونس: ٣].

ونحن قد رأينا أن الله سبحانه وتعالى قد أذن لنبيه الحبيب محمد ﷺ بالشفاعة وبهذا المقام المحمود من الله ، ونعرف الفائدة العظيمة من تخلل الحب فى العبادة، لأن جميع الرسل هم عباد الله الصالحين، إلا أن المحبوب الأوحد هو محمدﷺ ولذلك قال له ربه سبحانه وتعالى: اشفع تشفع، وهذا يدل على الرضا بالشفاعة منه ﷺ.

نستنتج من ذلك أن الشفاعة حقيقة واقعة ولكنها لا تنفع إلا بشرطين:

الشرط الأول:

هو الإذن من اللّٰه للشافع.

الشرط الثانى:

هو أن يرضى الله له قولاً محبوباً لديه وأن الشروط كلها تتوفر فى محمدناﷺ ، وأن النبى ﷺ **قال:« إن لكل نبى دعوة مستجابة ولكنى أريد أن اختبىء دعوتى لأطلب الشفاعة لأمتى فى الآخرة».**

فسيدنا نوح دعا على قومه بالدمار فاستجاب ربه وأيوب عليه السلام قد استجاب له ربه وشفاه من مرضه وهكذا كل الأنبياء قد استجاب الله لدعواتهم أما سيدنا محمد ﷺ لما قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[الضحى: ٥].

فقالﷺ لا أرضى وواحد من أمتى فى النار لذلك اختبأ دعوته شفاعة لأمته كما جاء فى الحديث الشريف.

حدثنا إسماعيل قال حدثنى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة**»[البخارى - كتاب الدعوات] .

إن من حب النبى ﷺ لأمته فإنه لم يرفع يديه إلى السماء ويدعو لأمته لكى يدخرها شفاعة لهم يوم القيامة .

وحتى عندما أراد أن تتحول القبلة من المسجد الأقصى إلى ناحية المسجد الحرام فإنه لم يرفع يده إلى السماء لكى لا تضيع الدعوة المدّخرة ولكن قلَّبَ وجهه فى السماء وأخذ ينظر إليها ومع ذلك فقد استجاب له ربه وحول القبلة ورضى الله لرضاه ﷺ وهذه الاستجابة من الله سبحانه لنبيه الحبيب فى أمر من أمور الدين الخاص برب العالمين يعطينا الأمل الأكيد أنه سبحانه وتعالى سيقبل له قولاً ، وبذلك نطمئن على الشفاعة .

ويقول الله تعالى :

﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾[**البقرة** : ١٤٤] .

وهكذا نرى حب الله سبحانه لنبيه ﷺ ثم نرى حب النبى لأمته المحمدية .

ومن حب الرسول لمن قال كلمة التوحيد «لا إله إلا اللّه» يقول ﷺ فى الحديث الشريف أن أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال «**لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه**» .

كما جاء فى الحديث الشريف :

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال :

قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

قال: « **لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أوَّل منك لما رأيت من حرصك على الحديث .. أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه**»[البخارى - كتاب الرقاق].

إن السعادة المقصودة هنا هى فرحة المؤمن بشفاعة رسول الله ﷺ ، فهناك المؤمن السعيد وهو من دخل الجنة، أما إذا أصابته الشفاعة فإنه يترقى فى الجنة من درجة إلى درجة أعلى فيكون هو الأسعد بالشفاعة.

وهناك من قال لا إله إلا اللّه ثم ينادى عليه أنه سيدخل النار فتلحقه شفاعة النبى ﷺ فتمنعه من الدخول فى النار ؛ فيكون بذلك هو السعيد. أما عندما يدخل فى الجنة فقد ترك مقعده الذى كان له فى النار؛ فبذلك يكون أسعد، وهذا سر قول الرسول ﷺ لكلمة «أسعد» فى الحديث الشريف ومن أجل أن نكون جميعاً سعداء يوم القيامة لابد أن تدعو لرسول الله ﷺ أن يمنحه الله الشفاعة التى فيها سعادتنا، وقد علمنا الرسول الكريم ﷺ كيف ندعو بهذه الدعوة.

حدثنا على بن عياش قال: حدثنا شعيب بن أبى حمزة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال:

«**من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة**» [البخارى - كتاب الآذان].

وهنا نقرأ قوله تعالى:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مُّحْمُودًا﴾ [**الإسراء**:٧٩]

وقد جاء فى الحديث الشريف الذى أخرجه البخارى فى كتاب الآذان باب بدء الآذان عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ «**أمر بلال أن يشفع الآذان وأن يوتر الإقامة**» ويشفع الآذان يعنى يقول كلمات الآذان مرة معها مرة أخرى يعنى مرة مشفوعة بأخرى أى أنه يقول : حى على الصلاة ويضم إليها حى على الصلاة مرة أخرى، فالمرة الأولى للاستيقاظ، والمرة الثانية للتنفيذ، وإن إضافة الشىء إلى الشىء

تسمى هذه العملية شفاعة، وفى الغالب ينضم القوى إلى الضعيف والكبير إلى الصغير بقصد المساعدة.

ولكن فى إقامة الصلاة يقال النداء مرة واحدة لا تتكرر، وهذا معنى الوتر، والله هو الوتر، وكل ما عداه فهو شفع، يحتاج كل واحد إلى الآخر، وكل البشر شفع من ذكر وأنثى؛ بل كل الخلق من ذكر وأنثى أما الله سبحانه وتعالى فهو الوتر الذى لا يحتاج لأحد، فهو سبحانه وتعالى الواحد الأحد، هو الغنى عن كل شىء، ليس كمثله شىء، وهو العلى العظيم.

لذلك فإن الله سبحانه وتعالى أقسم بالشفع والوتر بقوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾[**الفجر**:٣]. وكان رسول الله ﷺ يعلم أن الله يحب الوتر، فكان لا ينام إلا على وتر، يعنى أنه يختم صلاته بالليل بركعة واحدة، ذلك لينام على التوحيد، وذلك كما جاء فى الحديث الشريف: (عن سعيد المقبرى، عن أبى سلمة بن عبدالرحمن أنه سأل عائشة رضى الله عنها، كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ فى رمضان . فقالت(فى آخر الحديث)، فقلت : يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ **«فقال: يا عائشة إن عيناى تنامان ولاينام قلبى»**[البخارى - كتاب صلاة التراويح].

نفهم من ذلك أن غفلة القلب هى الغفلة، ولذلك قال سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾[**الكهف**: ٢٨].

ولم يقل سبحانه وتعالى من أغفلنا عينه؛ لأن غفلة القلب هى الغفلة؛ لأنه إذا غفل القلب مات صاحبه؛ لأن ذكر القلب فى دقاته، فإذا توقف عن الذكر مات صاحبه.

إن لكلمة التوحيد لا إله إلا الله شفاعة أيضاً لمن قالها بصدق، وقد جاء ذلك فى حديث الشفاعة الذى أخرجه البخارى فى كتاب «التوحيد» باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، والذى ذكرناه من قبل، وقد جاء فى آخره أن النبى ﷺ قال: **«ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك، ثم أخر له ساجداً؛ فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع، فأقول يا رب ائذن لى فيمن قال: لا إله إلا الله.**

فيقول: وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله».

وهكذا يغار الله على كلمة التوحيد لأنه يحب كل من قالها بصدق، وكذلك فالله سبحانه وتعالى لا يرضى أن تحرق الكلمة النورانية فى النار مع صاحبها، لذلك يخرجه من النار برحمة وعظمة منه، فهو سبحانه وتعالى أولى بمن ذكره بالتوحيد أن يرحمه من النار، وبهذه الرحمة الشاملة ننجو من النار من الناحيتين من شفاعة رسول الله ﷺ ومن قولنا كلمة التوحيد لا إله إلا الله، فالرسول ﷺ أخرجنا من النار بعد سجوده وخضوعه للّه ، فرفع الله رأسه أمام أمته؛ بل وأمام جميع الأمم، حيث قال له ارفع رأسك فأنت الآن المطاع، واشفع تشفع.

والله سبحانه وتعالى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله بكبريائه وعزته وجلاله، إنها فعلاً هى الكلمة الطيبة التى تكرم قائلها يوم القيامة، وكأن الله سبحانه وتعالى عندما قال ﷺ يا رب ائذن لى فيمن قال : لا إله إلا الله، فقال سبحانه تعالى: إن هذا الأمر لى وحدى لأخرجن من النار كل من قال لا إله إلا الله تكريماً وتعظيماً لاسمى، وإجلالاً لتوحيدى . .لذلك كان قول النبى ﷺ أسعد الناس بشفاعتى من قال لا إله إلا الله، لأنه بذكرها ينال رحمة الله وشفاعة رسوله، وكذلك سنجد أن أثر السجود فى وجه المؤمن سيشفع له يوم القيامة؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد حرم على النار أن تحرق أثر السجود، والإنسان المؤمن يسجد على سبعة أعظم، وهى عظام الرأس (الجبهة) واليدان والركبتان والقدمان، وهذه العظام حرم الله على النار أن تحرقها.

ويقول مختار النووى :

يا رب أعضاء السجود عتقتها	من عبدك الجانى وأنت الواقى
والعتق يسرى بالغنى يا ذا الغنى	فامنن على الفانى بعتق الباقى

يعنى يا رب لقد منعت النار أن تحرق أعضاء السجود، وهذا كرم منك وعفو جميل لا يأتى إلا من غنى كريم فامنن وتكرم بعتق باقى الجسد يا باقى يا كريم يا على يا عظيم. إنهم لما قالوا إنما نعبد الأصنام ليقربونا إلى اللّه، ثم قالوا : نعبد الملائكة

ليشفعوا لنا عند الله سبحانه وتعالى لذلك قال لهم المولى سبحانه وتعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾.

يعنى هو سبحانه الذى يملك الملائكة وهو خالق الأرض التى فيها الحجارة. فلما كان سبحانه وتعالى يملك الأرض التى فيها الأصنام، وكذلك يملك السماوات التى فيها الملائكة، فمن هذا الذى يتجاسر على أن يشفع لأحد عند الله دون إذن منه، سبحانه الذى يملك السماوات والأرض. نفهم من ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بالألوهية وحده لا شريك له. أما الشفاعة لا تنفع عنده إلا لمن أذن له بالشفاعة.. لذلك كانت الشفاعة بإذنه حقيقة واقعة وثابتة من قوله تعالى: ﴿إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾.

نفهم من ذلك أنه لا خلاف على الشفاعة فهى ثابتة فى القرآن الكريم، ولكن لا تنفع بدون إذنه، وثابتة من السنة النبوية، ونفهمها من وساطة النبى ﷺ عند الله سبحانه وتعالى لكى يخفف عن أمته فرض الصلاة؛ لأن الصلاة المفروضة كانت خمسين، فجعلها بالشفاعة خمس صلوات فى العدد، وخمسون فى الأجر والثواب.

ولقد جاء هذا التخفيف فى الحديث الشريف الذى أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء باب ذكر إدريس عليه السلام.

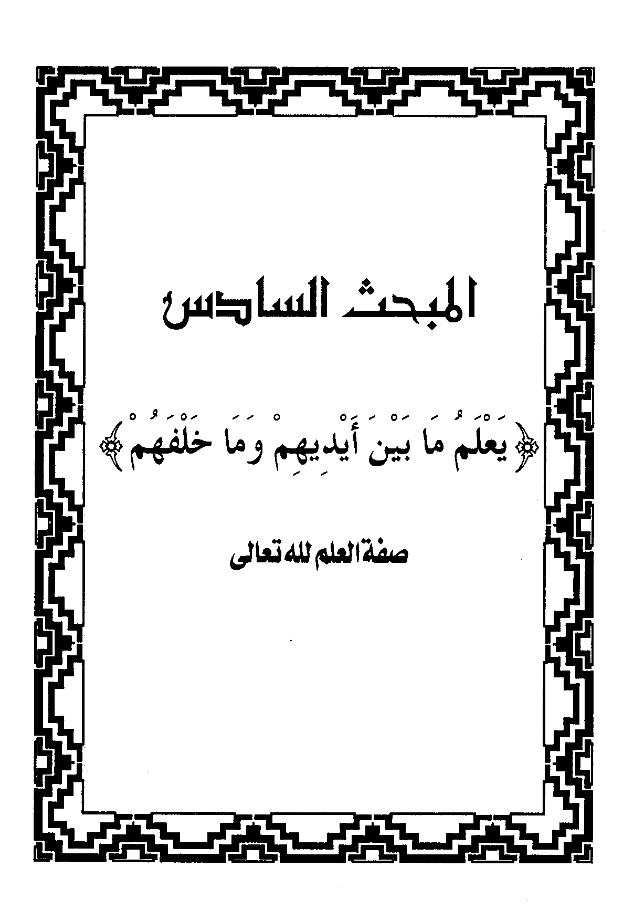
قال أنس بن مالك رضى الله عنه قال وأخبرنى ابن حزم، أن ابن عباس وأبا حيَّة الأنصارى كانا يقولان: قال النبى ﷺ: **«ثم عُرِج بى (أى محمد ﷺ) ففرض الله على خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى أمُرْ بموسى فقال موسى: ما الذى فرض على أمتك؟ قلت: فرض عليهم خمسين صلاة، قال: فراجع ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فرجعت فراجعت ربى، فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك (أكثر من مرة) فراجعت ربى فقال: هى خمس وهى خمسون، لا يبدل القول لدَىَّ، فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك، فقلت: لقد استحييت من ربى، ثم انطلق حتى أتى سدرة المنتهى»**

[البخارى - كتاب أحاديث الأنبياء - باب ذكر إدريس عليه السلام]

إن الملائكة كذلك تدعو الله أن يغفر للذين هم على صلاتهم يحافظون، ودائمون، وجاء ذلك فى الحديث الشريف: حدثنا عبدالله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: **«الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مصلاه الذى صلى فيه ما لم يحدث، تقول اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»**

[البخارى - كتاب الصلاة - باب الحديث فى المسجد]

فالملائكة تصلى على الناس أى تدعو لهم بأن يغفر الله لهم، والدعاء يقبل الإجابة كما أنه يتعرض للرفض وكذلك فى الشفاعة لاتقبل إلا بإذنه.



المبحث السادس

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾

صفة العلم لله تعالى



﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾

لقد علمنا مما سبق أنه لا يمكن لشفيع أن يشفع عند الله إلا من بعد إذنه.

نفهم من ذلك أنه سبحانه وتعالى يأذن بالشفاعة لمن يرى فى علمه أنه يستحق هذا المقام، وكذلك يعلم سبحانه من يستحق أن يخرج من النار بالشفاعة.

ذلك كله لأن الله سبحانه وتعالى يعلم ما بين أيدى الشافع والمشفع، يعنى يعلم حاضرهم ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، وكذلك يعلم مستقبلهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، وهو سبحانه وتعالى الذى يعلم ظاهرهم وباطنهم؛ لأنه خالقهم، وما خلقهم إلا ليعبدوه. أما الأصنام خلقها الإنسان، وشكلها ليعبدها هو، وهذه عبادة ضالة؛ لأن فيها يعبد القادر من لا يقدر على شىء ، أما عبادة الله هى العبادة الصحيحة؛ لأن فيها المخلوق يعبد الخالق ذو الفضل العظيم.

والعليم اسم من أسماء اللَّه الحسنى ورد به نص فى القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[العنكبوت: ٥] - وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[النمل: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[يوسف: ١٠٠].

والعليم هو المحيط علماً بكل شىء، ظاهره وباطنه، دقيقه وجليله، والعليم صفة قديمة قائمة بذات الحق تتعلق بالمعلومات، واجبة كانت أو جائزة، تعلق إحاطة وانكشاف، فالعلم صفة أزلية تكشف الحقائق على ما هى عليه بلا زيادة ولا نقصان فهو تعالى يعلم ذاته وأسماءه وصفاته، ويعلم ما كان وما يكون ويعلم الغيب وعنده علم الساعة، وهو الذى يعلم ما فى الأرحام، وهو الذى يعلم متى ينزل الغيث، ويعلم ما تكسب كل نفس ويعلم بأى أرض تموت.

وهو الذى يعلم تفاصيل الأمور، ودقائق الشئون وخفايا الضمائر والنفوس، لايعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض، يستوى عنده العلم بالأشياء قبل وجودها وبعد وجودها، وتنزه سبحانه أنه يستفيد علماً جديداً من الحوادث لأنه غنى عن العالمين.

فالحق تعالى يعلم أنه الواحد الأحد، ويعلم أنه الشرك مستحيل، ويعلم غيب السماوات والأرض، وليس هذا الوصف إلا لله تعالى والكل جاهلون إن شاء علمهم قال تعالى: ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾[البقرة: ٢٢٥]، وقال سبحانه وتعالى ﴿ الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾[الرحمن: ١] - وقال جل شأنه: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[الكهف: ٦٥] ، وقال عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾[النحل: ٧٨] .

وعلم الله تعالى يخالف علوم المحدثات من وجوه : منها أنه بالعلم الواحد يعلم جميع المعلومات بخلاف العبد - ومنها أن علمه لا يتغير بتغير المعلومات ولامستفاد من الحواس ولا من الفكر بخلاف العبد، ومنها أن علمه ضرورى الثبوت ممتنع الزوال ، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[مريم: ٦٤] ، وعلم العبد جائز الزوال ومنها أن الحق عز وجل لا يشغله علم عن علم بخلاف العبد، كما أن معلومات الحق ليس لها نهاية بخلاف معلومات العبد، يضاف إلى ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السماء ولا فى الأرض، وفى الحقيقة أن علوم العباد كلها مستمدة من الله العليم الخبير، قال تعالى: ﴿ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[التحريم: ٣] .

ولكل عارف فى كل آية فهم حسب ترقيه يأخذه من علم الله، وقد يعطى الله بعض علومه للأرقى على شاكلة الأرزاق للناس فى الدنيا، فالأرزاق متفاوتة فى الماديات والروحانيات، فقد يكون عند العالى علوماً لا تكون عند الأعلى مثل سيدنا الخضر وسيدنا موسى ومثل الهدهد وسيدنا سليمان.

والعلوم تتفاوت بحسب المعلوم، فأشرف العلوم ما يتعلق بالله واسمائه وصفاته وحكمة أحكامه وبيان حدوده، وكل علم لا يدل على الله أو على سبيله أو على ما يرضيه فليس له شرف ولا قيمة، ولذلك يبحث الرجال عن أهل اللّه العارفين به سبحانه، فيتلقون عنهم غوامض العلوم ودقائق الفتوحات فيكتسبون الخشية من الله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[فاطر: ٢٨] ، يعنى أن العلماء هم أهل الخشية فمن لا خشية عنده لا يعد عالماً.

وكل ما تراه فى هذا الوجود هو من مظاهر تجلى اسمه تعالى العليم، فأنت إذا نظرت إلى نظام عالم الملك الرائع البديع، فهذه الكواكب والنجوم التى تسبح فى أفلاكها بحركات منتظمة بغير أن يصطدم بعضها ببعض ومن غير أن يسلك بعضها طريقاً غير الطريق الذى رسم له، مع هذا التمسك بين المجموعات المختلفة من النجوم التى تجرى معاً منذ أن وضعها الله فى مواضعها فى هذا الفضاء الهائل إلى أن تنكدر فى اليوم الموعود - فإذا استحضر المؤمن هذا النظام وتدبر فيه لعلم علم اليقين أن الله تعالى قد أحاط بكل شىء علما.

وإليك مثالاً آخر من مظاهر تجلى اسمه تعالى العليم، وهو هذا الإنسان وهو العالم الأصغر الذى أقامه الحق عز وجل على قدمين وجعل له يدين يبطش بهما وأصابع يتناول بها الأشياء وجعل له أعصاباً للحس وأخرى للحركة والإرادة، فلايريد شيئاً إلا وسرت الإرادة فى الأعصاب فحركت العضو المراد تحريكه فى أقل من لمح البصر، وجعل له عقلاً يدبر به مصالحه ويدرك أمور معاشه، وجعل له السمع والبصر وجعل له الأسنان والأنياب والأضراس لقطع الطعام ومضغه ليسهل على المعدة هضمه، وإن فى قلب الإنسان لآية، ألا وهى هذه الحركة الدائمة بدوام الحياة، وهذا النبض الذى لا يسكن ليلاً ولا نهاراً ولا يقظة ولا مناماً بدون أن يخضع لإرادة الإنسان إذ لو خضع لها لمات الإنسان إذا نام وتعطلت إرادته ، وكذلك الحال فى الرئتين تنقيان الهواء وتمسكان الأكسچين الذى يمنح الحرارة والحياة، وتطردان الحامض الكربونى الذى فيه المضرة والهلاك، إلى آخر ما فى الإنسان من عجائب.

فكل هذه العجائب التى تراها فى نفسك وفى غيرها هى آيات بينات تدل على أن ربك بكل شىء عليم قال تعالى: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[**الملك**:١٤]، وقد استوى أمام علم الله عز وجل السر والعلانية، الباطن والظاهر، وقد أحاط الله علماً بخطرات الأفكار وخلجات النفوس فهو عز وجل يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، قد استأثر سبحانه وتعالى بعلم الغيب فلم يظهر عليه أحداً من خلقه إلا لمن ارتضى من رسله لتكون أدلة على صدق رسالاتهم كما قال تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن**

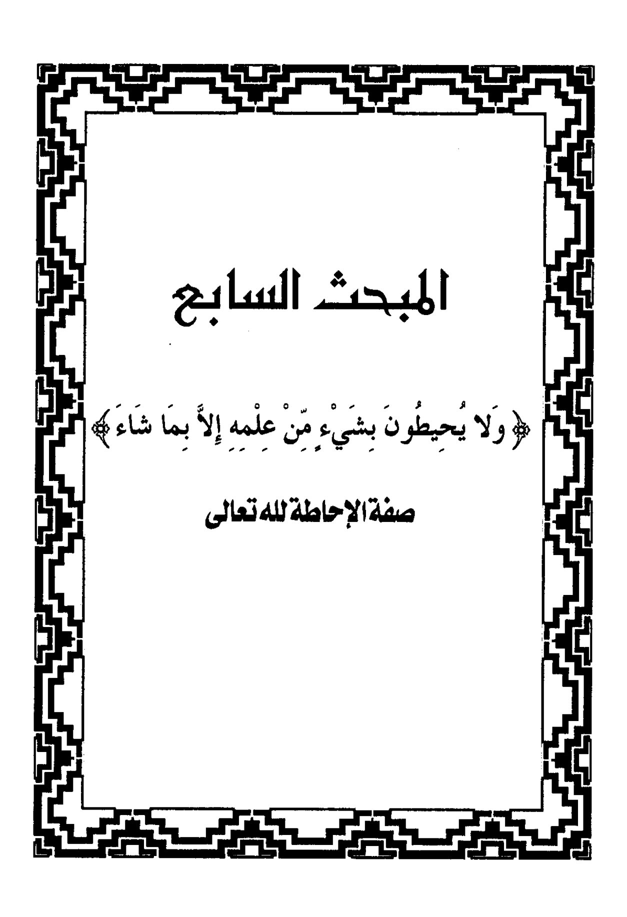
رَسُولٍ ﴾[الجن: ٢٦، ٢٧] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ﴾[آل عمران: ١٧٩] . وقال عز وجل ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[الأنعام: ٥٩] ، وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[لقمان: ٣٤] ، وقال تعالى مخاطباً نبيه الكريم: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

[الأعراف: ١٨٨]

وما ذكرت لك إلا أمثلة ونماذج تقيس عليها وتهتدى بها فى البحث والنظر والتأمل والتدبر، وأقل ذرة من ذرات هذا العلم تصلح وحدها لتوضح لك من عجائب علم الله بما يزيدك إيماناً ويقينا وخشية من الله العليم الحكيم.

وجدير بمن يذكر قول الله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[الملك: ١٣، ١٤]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[المجادلة: ٧].

وإذا أردت أن تنال نصيباً وافراً من العلم الإلهى فعليك بالتقوى، أى الخوف من الله والعمل بأوامره والبحث عن أهل التقوى حتى تتعلم منهم كيف تحسن التقوى فالجاهل بوسائل التقوى لا ينال العلم المطلوب قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[البقرة: ٢٨٢].



المبحث السابع

﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾

صفة الإحاطة لله تعالى



﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾

خلق اللّه الإنسان وأحاط علماً بكل تطورات حياته؛ حتى قبل أن يخلق فهو وحده القادر على كشف بعض العلم القليل لمن يشاء لما يشاء أن يراه خلقه ولما شاء الله سبحانه أعطى لنبيه ﷺ قدرات خاصة من العلم ويبين ذلك الحديث الشريف:

حدثنا إسماعيل قال: حدثنى مالك، عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

« هل ترون قبلتى ها هنا؟ واللّه ما يخفى علىّ ركوعكم ولا خشوعكم وإنى لأراكم من وراء ظهرى»[البخارى - كتاب الأذان - باب الخشوع فى الصلاة].

لقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يعطى نبيه الحبيب القدرة على أن يرى من خلفه كما يرى من أمامه يعنى يرى ما بين يديه ومن خلفه وذلك لحكمة؛ لأننا لو علمنا ذلك لقلنا إذا كان هذا حال النبى الذى يحيط من الله بشيء بسيط من علم الله الذى ليس له نهاية، فما بالنا بعلم الله فأكيد أن الله يرى أبعد من ذلك وأن الله شديد السمع والبصر وذلك يجعل عندنا شدة فى الحذر، ونعلم أن الله يرانا فى جميع أحوالنا، فنحسن المراقبة ، ونصل بذلك إلى درجة الإحسان، وهو أن نعبد الله كأننا نراه، فإن لم نكن نراه فهو الذى يحيط بكل أحوالنا، يحيط بسمعنا وبصرنا وكل ما لنا وما علينا، يعطى للعاصى عقابه بالمثل، ويعطى للمحسن أكثر من إحسانه ؛ لأنه الكريم سبحانه وتعالى. ولو تأملنا فى قول النبى ﷺ **«والله ما يخفى على ركوعكم ولا خشوعكم»** لوجدنا أن النبى ﷺ اختار كلمة خشوعكم بدلاً من كلمة سجودكم. ذلك لأن كلمة السجود تعنى خضوع الجسد أما كلمة «خشوعكم» فهى تعنى خضوع الجسد كحركات، وخضوع النفس بالانكسار، وخضوع الروح بالحمد والشكر، ونفهم من هذه الكلمة كذلك أن النبى ﷺ لا تقتصر رؤيته على حركات الجسد فقط؛ إنما هو يرى بالله ما فى القلوب من خشوع ولا يخفى عليه كل ذلك.

فكلمة «خشوعكم» هى كلمة واحدة، ولكن الرسول ﷺ جمع فيها كل المعانى، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى أعطاه جوامع الكلم.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أعطى نبيه من فضله هذه الرؤية لمن وراءه فى الصلاة، فما بالنا بالسميع البصير سبحانه وتعالى. إن هذا الحديث يجعلنا نؤمن بأن الله هو الرقيب علينا ويعلم ما بين أيدينا وما خلفنا.

وقد أنعم الله سبحانه وتعالى على عباده فى كل مكان وزمان بشىء من علمه، وذلك لتطور الحياة وانتعاش الحضارات لأن دين الإسلام دين الحضارة، وذلك أنه سبحانه وتعالى أظهر لهم الاكتشافات، فكشف الإنسان عن الكهرباء، وعن الجاذبية، وعن الطفو، وعن الذرة، وكل ذلك تحت قوله ﴿إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾. إنه سبحانه وتعالى هو الذى خلق الكهرباء والدليل أنها موجودة فى السماء فى رؤيتنا للبرق ولكن حقيقتها سر من أسرار الله، وعندما جاء وقت أن شاء الله أن تظهر للإنسان كاكتشاف مفيد للناس قال سبحانه وتعالى لهذا الشىء كن فكان، وكن يعنى أنه موجود ومخلوق، ولكن لما شاء سبحانه أن يظهر أمره بكن، فكان فى وقته المحدد، وإلا كان الإنسان قد كشف كل الاكتشافات فى يوم واحد.

إن الله سبحانه وتعالى يطلع بعض الناس على ما يشاء بهدف تأييد نبى أو دعم رسول يدعو الله سبحانه وتعالى. لذلك لما كذبت قريش سيدنا محمد ﷺ حول ليلة الإسراء والمعراج فسألوه عن بيت المقدس لتعجيزه، فجلى الله للنبى البيت أمامه، فوصفه لهم، وبين حقائقه كلها لهم، وهو ينظر إليه من جميع جوانبه، وبألوانه المختلفة، وهذا شىء قد شاء الله أن يحيط به نبيه ﷺ وذلك لنصرة دين الله على من كذبوه. وقد جاء ذلك فى الحديث الشريف:

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب، حدثنى أبو سلمة بن عبدالرحمن، سمعت جابر بن عبدالله رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»**

[البخارى - كتاب مناقب الأنصار - باب حديث الإسراء]

وقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾.

من هذا الحديث الشريف نفهم أن الله سبحانه وتعالى قد أعلم رسول الله ﷺ بالشيء المعلوم لأهل بيت المقدس، وليس معلوماً لأهل مكة، ولكن الله سبحانه وتعالى جلاه لنبيه وجعله أمامه بألوانه وأعمدته وجوانبه.

وقد أحاط الله ملائكته بأشياء ومنعهم من أشياء، ومنهم علم الأسماء الذى خص به آدم عليه السلام كما جاء فى قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

[**البقرة**: ٣٠-٣٢]

أنه لما قال سبحانه وتعالى للملائكة بشيء من علمه أنه سبحانه سيجعل فى الأرض خليفة وهو الإنسان، قالوا يا رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، وبذلك المنطق علموا أن الإنسان يتكون من لحم ودم وأنه سيقتل ويسفك الدماء، وكانوا يعتقدون أنهم أولى من هذا الإنسان بالأرض لأنهم يسبحون بحمد الله ويقدسون المولى عز وجل، وبذلك فقد أثبت الله لهم خطأ تفكيرهم، وخطأ الحكم على هذا المخلوق الذى سيكون منه الأنبياء والصالحين، وأن منهم النبى ﷺ خير خلق الله، وسيد العالمين به فيهم الملائكة. فلما علَّم الله سبحانه وتعالى آدم الأسماء كلها، امتحن فيهم الملائكة، فلم يجيبوا، فلما علموا أنهم قد أحاطوا بأشياء من الله وغابت عنهم أشياء كثيرة، اعترفوا بخطأ ظنهم، وقالوا: سبحانك يا ربنا إننا حكمنا بما لدينا من علم علمته لنا، والعلم لا يكفى إن لم يؤيد بالحكمة التى تجعل العلم يقال فى مكانه ويقال دون الاعتداء على الغير، ومن الحكمة أنك لا تحكم على شيء إلا إذا علمت جميع جوانبه؛ حتى يكون حكمك صائباً ولذلك قالوا للَّه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

أما نحن الملائكة لم نكن عندنا الحكمة فى قولنا ونأسف على ذلك ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[البقرة:٣٢]. لأن الملائكة علمت شيء من غيب السماوات ولكنهم عجزوا عن غيب الأرض. وقال لهم سبحانه وتعالى:

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[البقرة: ٣٣].

وما كانوا يبدون هو قولهم: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾

أما ما كانوا يكتمون هو قولهم بينهم أنهم أحق بعمارة الأرض من آدم لأنهم يسبحون بحمد الله.

لذلك كان رد آدم عليه السلام عليهم أنه أول ما قال بعد أن دخلت الروح فيه هو قوله «الحمد للّه» وهذا ما لم يعلمه الملائكة عن آدم.

والله سبحانه وتعالى أثبت للملائكة ولكل مخلوق أنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

ويقول الله تعالى:

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾[طه: ١١٠].

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٨].

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾[الحج: ٧٦].

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[آل عمران: ٢٩].

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[الحجرات: ١٦]

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[التغابن: ٤].

إن إحاطة الله سبحانه وتعالى بكل شيء وكل الأحوال، يرتبط بإذنه بالشفاعة لمن يشاء؛ لأنه سبحانه هو وحده الذى يعلم بأحوال الشافع والمشفوع له.

ويعلم سبحانه وتعالى بمن له أن يشفع ومن يستحق أن يشفع له ، لذلك لا يستطيع أى مخلوق أن يتجاسر على الشفاعة إلا بإذنه سبحانه وتعالى، لأنه ربما يحب الشافع أن يشفع لأحد غيره؛ لكنه لا يعلم هل يستحق أن يشفع له أولا.

ولما كان الله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، لذلك فهو سبحانه الذى يأذن لمن يشاء بالشفاعة وكما علمنا أن الملائكة لا تعلم الغيب، فكذلك الجن أيضاً لا يعلمون الغيب؛ لأنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين عند سيدنا سليمان عليه السلام، ولم يعلموا بموته إلا بعد أن أكلت الدابة عصاه تحقيقاً لقول الله تعالى:

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[سبأ: ١٢-١٤].

وكذلك لو كان آدم عليه السلام يعلم أنه سيطرد من الجنة لو أكل من الشجرة ما أكل منها، وهذا آدم عليه السلام لم يعلم الغيب.

يقول الله تعالى:

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[البقرة: ٣٥].

وأمر الله كان لآدم وحواء بقوله تعالى ﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ والألف للمثنى، ولكن الشيطان أزلهما فأخرجهما مما كانا فيه من نعيم.

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[البقرة: ٣٦].

فكان من نتيجة ذلك الخطأ من آدم وحواء أن اهبطهما مما كانا فيه من النعيم، وذلك هو الدليل على عدم معرفة آدم وحواء للغيب. وصدق الله حيث قال: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ .

ولو علم آدم من نداء ربه له فى قوله تعالى «اسكن» لفهم أنه ساكن الجنة لمدة معينة، وسيهبط إلى الأرض، لأن صاحب السكن وهو الله شرط عليه عدم الاقتراب من الشجرة، فأخلَّ آدم بشرط السكن فأهبطه الله إلى الأرض، وأخرجه من السكن (الجنة).

نفهم مما سبق :

أن الجن لا تعلم الغيب، والملائكة لا تعلم الغيب، وكذلك آدم وحواء لايعلمان الغيب، وكذلك الأنبياء لا تعلم الغيب.

فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام لو كان يعلم الغيب ما كان الأمر من الله سبحانه وتعالى بذبح ولده إسماعيل اختبار له، وما كان له هو البلاء المبين؛ لأن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لم يعلما بكبش الفداء.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[الصافات: ١٠٣-١٠٧].

فلما بدأ سيدنا إبراهيم عليه السلام بذبح ولده الحبيب إسماعيل، واستسلم إبراهيم لأمر الله بالذبح، وكذلك استسلم الابن للموت، لذلك كانت المكافأة من الله أن فدى الذبيح بذبح عظيم جزاءً من الله على حسن طاعتهما، وحسن استسلامهما للَّه ، وتحقق دعاء إبراهيم عليه السلام حين قال: قال الله تعالى:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾[البقرة: ١٢٨].

فإبراهيم عليه السلام أسلم أمره لله كفاعل للذبح، وولده إسماعيل أسلم للَّه لسكين والده، وكذلك سيدنا يعقوب عليه السلام قد علم من الله أن يوسف ما زال على قيد الحياة، وهذا شيء من علم اللَّه ، ولكن الله غيَّب عنه أشياء كثيرة، فهو لا يعرف مكانه أو حاله أو فعله أو طعامه أو شرابه، لذلك حزن حزناً شديداً على أنه لا يعرف كل ذلك عن ولده الحبيب بقول الله تعالى:

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[يوسف: ٨٤] .

ولو كان يعقوب عليه السلام يعلم ما غاب عنه ما بكى أو حزن وابيضت عيناه من الحزن والبكاء على ولده ، وصدق الله حيث قال: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾ .

وكذلك موسى عليه السلام لو كان يعلم أن عصاه ستتحول من نبات إلى ثعبان عظيم ما ولىَّ مدبراً من الخوف تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾[القصص: ٣١] .

فلولا أن ناداه ربه وقال له أقبل ولاتخف، ما علم موسى أنه فى أمان من العصا. ولو كان سيدنا سليمان عليه السلام يعلم الغيب لعلم بمكان الهدهد، وعلم سبب غيابه، وقد جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾[النمل: ٢٠، ٢١] .

إن الله سبحانه وتعالى قد أعطى الهدهد علماً لم يحط به نبى الله سليمان عليه السلام؛ لنتعلم أن الأنبياء لا يحيطون بشيء من علمه سبحانه وتعالى إلا بما شاء أن يحطيهم به، لكن يبقى العلم المطلق للَّه وحده، ولكى لا يغتر كل ذى علم بعلمه، فالملائكة اعتبروا من علم آدم وسليمان اعتبر من علم الهدهد، وعلموا جميعاً أن العلم لله وحده، وأن القرآن الكريم فيه مخزون كبير وعظيم من علوم الغيب؛ حيث

أن الله سبحانه وتعالى عرفنا بما سيحدث فى غيب القيامة، وما يحدث فى الجنة والنار.

خلاصة القول أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ومع ذلك فهم لا يعلمون بالشىء البسيط من علمه إلا بما شاء أن يعلمه خلقه، ويكون هذا العلم لا يغير فى قدر الله ولا يمنعه، ولا يغير مكتوباً قد كتبه الله على عباده، لذلك لأن علمه سبحانه وتعالى أوسع مما نتصور، وأكبر مما نتخيل، ويقول الله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾[**آل عمران**: ٦٦].

لذلك فعلينا إخلاص التوحيد، وإخلاص العبادة للَّه الذى يحيط بكل شىء علماً، ولا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو الحى القيوم.

قال رجل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟

قال له رسول الله ﷺ: نعم يعرفون ولكن هذا العلم لا يؤثر فى عملهم، فكل يعمل لما خلق له، وذلك جاء فى الحديث الشريف:

حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا يزيد الرشك قال: سمعت مطرف بن عبدالله ابن الشخير يحدث عن عمران بن حصين: قال رجل يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «**نعم**» قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: «**كل يعمل لما خلق له أو لما يسر له**»[البخارى - كتاب القدر].

وهذا يدلنا على أن الله لا يحيطنا بشئ من علمه إلا بما شاء له أن يظهر فى الحقيقة، فإنه يقول له كن يعنى قد جاء الوقت الذى تظهر فيه، فيكون حقيقة أمام الناس وأمثال ذلك كثير مثل العلوم الحديثة كالكهرباء والجاذبية وقوانين الطفو وتفتيت الذرة، كل هذه الأشياء كانت فى الوجود مخلوقة، ولكن فى علم الله سبحانه وتعالى فإذا أراد للشىء أن يظهر للناس فلا يخلقه ابتداء ولكن يقول له كن يعنى اظهر فيظهر ويكون، فكل الأمور موجودة لا يبتديها ولكنه سبحانه وتعالى يبديها (يظهرها) لنا فى وقتها المعلوم، ومثال ذلك ما جاء فى حديث رسول الله ﷺ.

وقال عفان حدثنا سليم بن حبان، حدثنى سعيد بن ميناء قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجزوم كما تفر من الأسد**»[البخارى - كتاب الطب - باب الجذام].

لا عدوى : إلا بإذن الله   الطيرة : التشاؤم

هـــامـــة : الأشباح

صفرة : شهر صفر لأنهم كانوا لا يحبونه ويتوقعون فيه الشر.

فى هذا الحديث : نفهم منه أن الله سبحانه وتعالى قد أحاط نبيه الحبيب محمدﷺ دون غيره بخطورة عدوى جرثومة مرض الجذام وأوصانا بأن نبعد أنفسنا بعيداً جداً حتى درجة الفرار من المجذوم (المصاب بالجذام) كفرارنا من الأسد المفترس وهذا فيه تحذير شديد من الرسول ﷺ للمسلمين فى زمانه فصدقوه وسلموا لكلامه دون البحث والسؤال عن ذكره للأسد بالذات ولكنهم صدقوه فسلموا فى أجسادهم وفى نفوسهم وأرواحهم وهذا الحديث الشريف فيه المصلحة والنصيحة لكل زمان ولقد عرف العلماء بعد فحصهم بالأجهزة الحديثة لجرثومة الجزام أنها تشبه الأسد وهذا ما رآه رسول الله ولذلك حدد الأسد بالذات دون غيره وعلموا أن رسول الله ﷺ وعلمنا معهم بالإحاطة العلمية من الله الذى أعطاها لرسوله الحبيب لحماية نفسه وأمته من الأمراض الجسدية والنفسية من قوله ﷺ «**وفر من المجزوم كما تفر من الأسد**» .

ومن هذا العلم أيضاً أن الرسول ﷺ منع الناس فى عهده من الشرب من فتحة القربة ذلك لكى لا تنتقل الجراثيم الدقيقة من شخص إلى آخر وذلك كما جاء فى الحديث الشريف: حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل أخبرنا أيوب عن عكرمة عن أبى هريرة رضى الله عنه «**نهى النبى أن يشرب من فىِّ السقاء**»

[أخرجه البخارى - كتاب الأشربة]

فىِّ السقاء : فتحة القربة.

إن المسلم كان فى عهد النبى ﷺ يحب التسليم لكل ما يقوله الرسول الكريم دون نقاش ولا جدال لأنه آمن بالرسول ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى وبهذا التسليم سلموا من كل شىء سلمت أرواحهم وأجسادهم فلما منعهم الرسول الكريم الشرب من فتحة القربة امتنعوا فوراً فسلموا وكان هدف الرسول من هذا المنع فى زمانه الذى لا يعرف الجراثيم الدقيقة هو تحذيرهم من الهوام والحشرات التى من الممكن أن تدخل فى فتحة القربة ولم يخبرهم بأن هناك جراثيم لأن ذلك يعد من الأوهام ولكن الحديث الشريف كان بعيد النظر لأنه يحذر أهل زماننا الحديث من الجراثيم القاتلة المعدية وهذا يدل على علم الرسول الكريم الذى علمه من الله العلى العظيم ليحذر أمته فى كل زمان ومكان من أخطار الدنيا والآخرة لذلك فإن حديث رسول الله ﷺ صالح لكل زمان ومكان ويجب علينا أن نستفيد من صدق هذا الحديث الشريف لأن الرسول ﷺ قد قال الصدق فى زمانه فصدقوه فسلموا جسدياً وروحياً.

ونحن لابد أن نستفيد أيضاً فنعلم أنه طالما قد وجدنا أن رسولنا الكريم صدق عندما تنبأ بالجراثيم الدقيقة التى لم تكن معروفة وقت نزول القرآن فوجدناها حقيقة واقعة فى زماننا هذا وقد عرفنا أنه صادق فى الأحداث التى حدثت بالفعل أمام أعيننا فى المستقبل القريب فى الدنيا لذلك كان لابد لنا أن نصدقه فيما أخبرنا عنه من جنة ومن نار ومن عذاب الجبار فى المستقبل البعيد وهو اليوم الآخر.

ويكفى المؤمن مقولة صغيرة جداً من الرسول صادقة ليعرف بها أن جميع كلام الرسول الكريم هو صدق وحق.

كما يكفى أن نأخذ سنتيمتراً واحداً من دم جسد الإنسان كله لنعرف من خلال هذه الكمية البسيطة كل ما فى الجسم من صحة أو مرض.

وكل ذلك ويبقى للّه سبحانه وتعالى مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو كما جاء فى الحديث الشريف.

حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبى شهاب عن سالم ابن عبدالله عن أبيه.

أن رسول الله ﷺ قال: «**مفاتيح الغيب خمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً، وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير**».

[البخارى - كتاب التفسير - باب وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو]

مفاتيح الغيب : يعنى خزائن الغيب والأسرار.

وقد روى الطبرى من طريق ابن مسعود قال:

«**أعطى نبيكم ﷺ علم كل شىء إلا مفاتيح الغيب**».

إن فى هذا الحديث الشريف البند الثالث يقول: «﴿ **وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ** ﴾.

يعنى أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يعلم ما فى الأرحام ولكن بعضهم قد أخذه غرور التقدم العلمى والأجهزة المتقدمة الحديثة التى تكشف للطبيب عن الجنين وهو فى بطن أمه فيحدد لأمه ما يكون نوعه ذكر أو أنثى فقال إن الطبيب فى هذه الحالة علم ما فى الأرحام ، وهذا الخطأ يقع فيه الكثير، وهم الذين لا يتفكرون ولا ينظرون فى كلام الله ولا يعرفون دقائق وحقائق كلمات القرآن الكريم أو إلى كلام رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى. فكان عليهم أن يعلموا أولاً أن القرآن الكريم قال: ﴿ **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ** ﴾[**الرعد** : ٨].

ومعنى قوله كل أنثى ولم يقل سبحانه كل امرأة يعنى كل أنثى من البشر ومن الحيوان ومن الحشرات ومن الزواحف ومن الطيور على جميع أشكالها ومن كل المخلوقات وهذه كلها علوم لا يحيط بها إلا الله سبحانه وتعالى.

فهل علم الطبيب يصل إلى أن يعلم ما تحمل أنثى الأسد أو النمر أو ما فى بطن النملة أو البعوضة فهذه أمور لا يعلمها إلا الخالق سبحانه وتعالى:

وقال الله تعالى: ﴿ **وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ** ﴾[**لقمان** :٣٤].

ولم يقل سبحانه وتعالى ويعلم من فى الأرحام حتى يقال إن الطبيب قد علم أنه ذكر أو علم أنه أنثى وانتهى العلم على ذلك ولكن الله سبحانه وتعالى قال﴿ **وَيَعْلَمُ مَا**

﴿فِي الأَرْحَامِ﴾ يعنى يعلم نوعه ذكر أو أنثى ويعلم أنه شقى أم سعيد ويعلم رزقه وأجله ويعلم زوجته وأولاده كل ذلك يتفق مع قوله تعالى﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ فمعنى أن الطبيب علم أنه ذكر فهل يعلم أن هذا الذكر سوف ينزل من بطن أمه حى أو أنه سينزل ميتاً أو مشوهاً أو غير ذلك كل ذلك جاء بيانه فى حديث رسول الله ﷺ.

حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد عن عبيد الله بن أبى بكر ابن أنس، عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **وكلّ الله بالرحم ملكاً فيقول: اى رب نطفة اى رب علقة اى رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضى خلقها قال: أى رب ذكر أو أنثى؟ أشقى أم سعيد؟ فما الرزق فما الأجل؟ فكتب كذلك فى بطن أمه** »

[البخارى - كتاب القدر]

وبعد هذا الحديث الشريف نقول لكل من كان يقول إن الطبيب يعرف أن الجنين فى الرحم ذكر أو أنثى فهل تعرف يا طبيب متى تموت أنت وبأى أرض تموت وهل يا طبيب علمت ما رزقك غداً، وهل تكون فى الدنيا سعيداً أو تكون شقياً.

فإذا كنت لا تعرف كل هذه الأشياء عن نفسك فهل تعلم ما فى الأرحام شقى أو سعيد رزقه ضيق أو واسع صحيح أو سقيم قوى أو ضعيف طويل عمره أو قصير، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾

فلا تجعل يا طبيب علمك بشىء بسيط بما شاء ينسيك الذى وسع علمه الأرض والسماء وهو العلى العظيم.

إن علمك يا طبيب هو بسبب ما وهبك الله من عقل أما علم الله فهو من ذاته علم بغير تعلم فهو المعلم ولا يتعلم وأنت يا طبيب متعلم من متعلم محدود بحدود العقل المخلوق من الله أما الله فقد وسع علمه السماوات والأرض وإن علمك يا طبيب فى جانب وعلم الله فى جميع الجوانب لأنه محيط بكل شىء.

إن الله سبحانه وتعالى لابد وأن يحيط نبيه ببعض العلم الذى يحمى به نفسه ويحمى به دعوته لذلك عندما جاءت زينب بنت الحارث بشاة بها سم كهدية إلى رسول الله ﷺ لم يأكل منها وعرف أنها مسمومة وذلك كما جاء فى الحديث الشريف.

حدثنا عبدالله بن يوسف حدثنا الليث حدثنى سعيد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: « **لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله شاة فيها سُمٌ**»

[أخرجه البخارى - كتاب المغازى - باب الشاة التى سمت النبى ﷺ بخيبر]

بعد فتح خيبر أهدت للنبى زينب بنت الحارث وكانت امرأة سلام بن مشكم شاة بها سم وكانت قد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى النبى؟

فقيل لها : الذراع فأكثرت فيها من السم.

ولكن رسول الله ﷺ علم من الله أن الشاة فيها سم فمنع نفسه منها فقال لأصحابه أمسكوا فإنها مسمومة، نفهم من ذلك أن علمه من الله كان فيه الحياة لنفسه فالعلم حياة والجهل موت وليس هذا له فقط بل كان علمه من الله فيه الحياة لأصحابه لأنه ﷺ منعهم من تذوقها.

وكذلك فإن علم القرآن الكريم كان من الله لمحمد ﷺ فيه إحاطة وتحذير من الهلاك فى النار لذلك كان لنا هو الحياة فى الدنيا والحياة الدائمة فى الآخرة فى أمان وسلام.

وبعدما وجد النبى ﷺ هذا الخطر قال لليهودية زينب بنت الحارث ما حملك على ذلك؟ قالت: أردت أن أعرف وأتأكد إن كنت نبياً فيطلعك الله على السر وإن كنت كاذباً فأريح الناس منك وقد استبان لى الآن أنك صادق وأنا أشهدك وأشهد من حضر إنى على دينك وأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فانصرف عنها رسول الله حين أسلمت وكان يجب قتلها على فعلتها الشنعاء ولكنها أسرعت وحفظت نفسها من القتل بشهادة لا إله إلا الله لنعلم أن شهادة التوحيد تهبك الحياة فى الدنيا وكذلك فى الآخرة تهبك الحياة الدائمة وهذه من فوائد كلمة التوحيد.

وبهذا العفو الكريم من رسول الله ﷺ للمرأة التى شهدت بلا إله إلا الله فقد تطابق فعل النبى لكلامه فى الحديث الشريف.

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقل عن ابن شهاب أخبرنى عبيد الله بن عبدالله بن عتبة أن أبا هريرة قال: لما توفى النبى ﷺ واستخلف أبو بكر وكفر من

كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ:
«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»

[البخارى - كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم]

نفهم من ذلك أن الله سبحانه وتعالى له غيب السماوات والأرض وهو عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول وقد ارتضى لرسولنا الكريم بعضا من هذا الغيب وذلك لحماية نفسه وحماية أمته ودينه ويقول الله تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا** ﴿٢٦﴾ **إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا**﴾[**الجن**: ٢٦، ٢٧].

والذى يحاول أن يسترق السمع من الجن فإن الله يحرق كل من اقترب من علم الله دون إذنه تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ**﴾

[**الحجر**: ١٨]

فإن المارد من الجن الذى يحاول استراق السمع على أبواب السماء يوجه إليه شهاب يحرقه ليبقى السر فى أمان وهذا من باب حفظ الله للسماوات وما فيهن من أسرار لأن مقررات ومكتوبات الأرزاق فى السماء ولكن صرفها من الأرض.

﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾[**الذاريات**: ٢٢].

ومن قول الله تعالى: ﴿ **فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا** ﴿٢٦﴾ **إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ...**﴾[**الجن**: ٢٦، ٢٧].

فإن رسول اللهﷺ قد ارتضى له الله بعض الغيب فأراه أنه سينتصر على أعداء الإسلام فى غزوة بدر قبل وقوعها . . وهذا ما جاء فى الحديث الشريف.

حدثنى محمد بن عبدالله بن حَوْشب حدثنا عبدالوهاب حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبى ﷺ يوم بدر: **«اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد»** فأخذ أبو بكر بيده . . فقال: حسبك فخرج وهو يقول**«سيهزم الجمع ويولون الدبر»**[البخارى - كتاب المغازى].

والجمع المقصود فى هذا الحديث الشريف هم الكفار الذين جمعوا أنفسهم للقضاء على الإسلام وهو فى مهده فكان النصر من عند الله وحده فى غزوة بدر التى لو انهزم الإسلام فيها ما قامت بعد ذلك له قائمة لذلك خرج رسول الله ﷺ يبشر ويقول «**سيهزم الجمع ويولون الدبر**».

وفعلاً تحقق قول رسول الله ﷺ وهزم الجمع وانتصر الإسلام على الكفر فى غزوة بدر وبهذا النصر أرسى الإسلام قواعده القوية. وإن قوله ﷺ «**سيهزم الجمع**» هو إحاطة من علم الله سبحانه وتعالى لنبيه.

وقد وصل بالنبى الحال إلى أنه تنبأ قبل معركة بدر بالنصر وأكثر من ذلك أنه أخذ يعرف الناس بمصارع الكفار ويقول هذا مصرع فلان وهذا مقتل فلان وقد تنبأ بمقتل أمية بن خلف قبل المعركة.

ووقع عند مسلم من حديث أنس عن عمر قال: «**إن النبى ﷺ ليرينا مصارع أهل بدر يقول هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان فوالذى بعثه بالحق ما أخطأ تلك الحدود**» يعنى كل كافر وقع وقتل فى نفس المكان الذى حدده له النبى ﷺ.

ومن هؤلاء الكفار أمية بن خلف رغم حرصه الشديد فى عدم خروجه من بيته لكى لا يقتل كما قال رسول الله ﷺ عنه فقد قال سعد بن معاذ لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنهم قاتلوك يا أمية**، قال: بمكة؟ قال: لا أدرى» ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً فرجع أمية فحدث أهله. فقال: أمية والله لا أخرج من مكة.

ولكن لما جاء يوم بدر حرضه على الخروج أبو جهل فخرج فقالت له زوجته ألم يحذرك اليثربى تقصد سعد بن معاذ فقال لها: لا ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً وكان محافظاً على نفسه لكنه لما خرج قتله الله عز وجل ببدر وصحت نبوءة النبى المصطفى ﷺ.

وقد جاءت هذه القصة بالكامل فى الحديث الذى أخرجه البخارى فى كتاب المغازى - باب : ذكر النبى ﷺ من يُقْتَلُ ببدر.

نفهم من ذلك أن الحذر لم يمنع القدر فمع أن أمية كان يتبع الحذر ولكن هذا لم يمنع موته فى نفس المكان الذى حدده النبى ﷺ وهذا العلم من الله لنبيه هو فضل الله يؤتيه لمن يشاء.

حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سعيد عن قتادة أن أنساً رضى الله عنه حدثهم قال: «صعد النبى ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف فقال: «**اسكن أحد** - أظنه ضربه برجله - **فليس عليك إلا نبى وصديق وشهيدان**» [البخارى - كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عثمان بن عفان أبى عمر القرشى رضى الله عنه].

إن النبى هو محمد ﷺ والصديق هو أبو بكر الصديق والشهيدان هما عمر وعثمان رضى الله عنهم جميعاً ومن فضل الله سبحانه وتعالى لنبيه أنه علم من الله أن سيدنا عمر وسيدنا عثمان سيكونان من الشهداء وهذه أقدار الصحابة يراها النبى ﷺ وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿**وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ**﴾.

وهذا العلم لا يؤثر فى علمه اللانهائى لأنه يقول تعالى: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾ يعنى وسع علمه السماوات والأرض وأن حرمان الناس من علم الغيب والمستقبل ومن بعض العلوم ممكن أن يكون لهم رحمة وإذا علمتم ما فى الغيب لاخترتم الواقع ولو علم الناس ماذا يحدث لهم غداً لانقطعوا عن العمل ولذلك أخفى الله عنا أشياء غيبية كثيرة مثل قيام الساعة حتى يعمل العاملون وأخفى عنا ساعة الإجابة لكى نلجأ إلى الله فى جميع الأوقات وأخفى عنا ليلة القدر وأخفى الله أولياءه تحت سمائه حتى لا تحتقر أحد ظلماً أو نعظم أحداً لا يستحق التعظيم ونعظم الله سبحانه وتعالى لأنه هو العلى العظيم.

حدثنا موسى بن مسعود حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبى وائل، عن حذيفة رضى الله عنه قال: «**لقد خطبنا النبى ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئا إلى قيام**

الساعة إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله إن كنتُ الشىء قد نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه»

[البخارى - كتاب القدر- باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً]

حديث أخرجه أحمد وصححه ابن حبان عن طريق عبدالله بن الديلمى عن عبدالله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ.

«إن الله عز وجل خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن اخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله».

ويقال إن عبدالله بن ظاهر أمير خرسان للمأمون سأل الحسين بن الفضل عن قوله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن: ٢٩] فأجاب: هى شئون يبديها لا شئون يبتديها.

جف القلم : أى لم يكتب بعد ذلك شىء.

ويلزمنا الإيمان بذلك ولا يلزمنا معرفة صفته أو البحث فى كيفيته.

إن آية الكرسى قد بينت الرشد وهو تمام العلم من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويقول لا إله فى قلبى ثم يقول إلا اللَّه يملأ قلبى ويعنى ذلك أنه قد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله فى هذه الحالة سميع يعنى أنه أسمع بمن يقول كلمة التوحيد بلسانه وهو الذى يعلم هل يقولها بصدق أو غير ذلك وهذا قوله تعالى والله سميع عليم وقوله تعالى بعد آية الكرسى ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ معناه أن بعد بيان التوحيد فى آية الكرسى وجب الاختيار على نور وعلى بيان سليم لكى لا يظلم الإنسان نفسه ويختار فى هذه الحالة بين الإيمان والكفر.

إن آدم عليه السلام عندما اختار الأمانة وكان يجهل ما فيها فقد ظلم نفسه بحملها فكان وصف الله له أنه كان ظلوماً جهولاً لذلك فالله سبحانه وتعالى قد جاء لنا بآية الكرسى التى تصف لنا وحدانية الله وتؤكد عليها وتقول لنا أنه ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وبعد ذلك قال سبحانه وتعالى:﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ذلك لأن

الله سبحانه وتعالى هو العلى العظيم الذى لا يقبل أى أن يدخل فى دينه من يقهر على ذلك لأن الدين حب وتصديق وهو سبحانه وتعالى يريد منا الدخول فى دينه باختيارنا وباقتناع نفوسنا أنه الدين القيم الذى نتشرف بالانتساب إليه ونخسر كثيراً لو كفرنا به.

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[يونس: ٩٩].

إن القرآن مملوء بالقوة التى تنقذنا من الفكر والهلاك ومن أراد أن يتعلق بالعروة الوثقى فعليه التعلق بآية الكرسى ومن أراد أن يتمسك بالدين ليرتفع فى الدرجات عليه أن يتمسك بما جاء فى آية الكرسى لأن آية الكرسى فيها الدلائل على وحدانية الله سبحانه وتعالى وهى أقوى الدلائل.

والتعلق بآية الكرسى تعلق بالحياة وتعلق بالإيمان وتعلق بالجنة وتعلق بحبل النجاة وآية الكرسى هى التى ينجذب بها أولياء الله يعنى إذا أراد الله جذب قلب عبده المحبوب إليه ملأ قلبه بآية الكرسى وهذا هو فضل الله يؤتيه لمن يشاء من عباده. لذلك يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾[الكهف: ٢٩].

والحق قد قاله الله فى آية الكرسى عن التوحيد الحقيقى فمن شاء بعد ذلك أن يؤمن بهذا الجمال وهذا الإله العلى العظيم نجح وفلح ودخل الجنة وكذلك من حق الإنسان أن يكفر ولكن قبل أن يقرر ذلك فلابد أن يعرف أن مصير من يكفر هو النار تحيط به من كل جانب لكى يكون اختياره على أساس سليم.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾[لقمان: ٢٢].

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان: ٢٢].

فى هذه الآية الكريمة يقول العليم الحكيم ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ تفهم من ذلك أن التوحيد حق جميل ولكن كل من أشرك بالله فقد ظلم نفسه يعنى أنقص من حقها فى الجمال والكمال وحقرها بالشرك والكفر وفى ذلك ظلم للنفس عظيم لأن من ظلم نفسه التى بين جنبيه فمن السهل عليه ظلم غيره.

وبقول الله تعالى ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ﴾[الكهف: ٣٣].

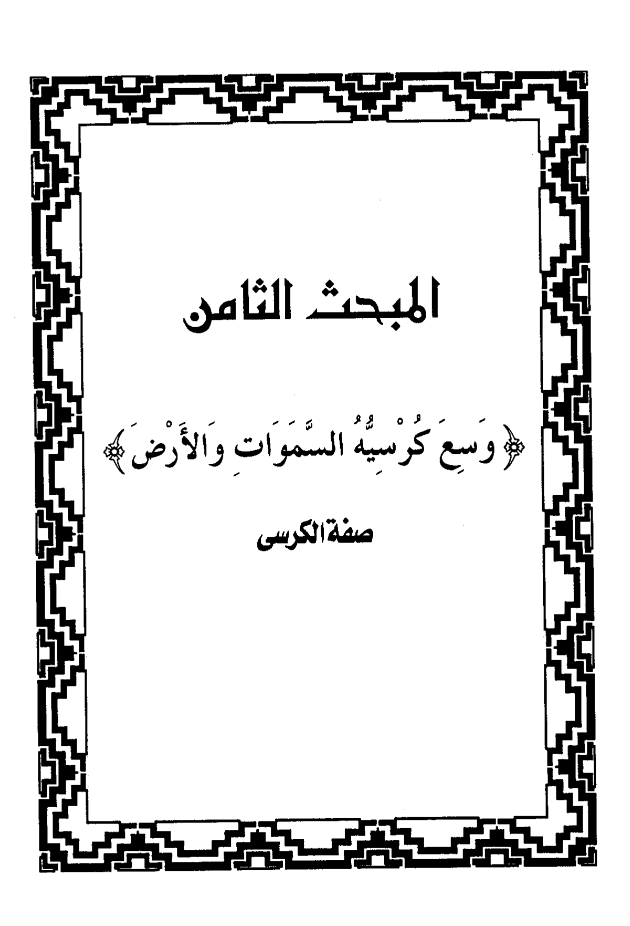
يعنى لم تنقص منه شيئاً يعنى أن أرض الجنة وهى من الجماد وأشجار الجنة التى هى من النبات لم تنقص من حق الإنسان صاحب الجنة فكل الأزهار جاءت له بكل البراعم وكل البراعم جاء له بكل الثمار.

ولما كان له هذا الثمر وهذا الخير دون نقصان لم يحمد الله على هذه النعمة الكاملة وظلم نفسه بكفره ويقول الله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾[الكهف: ٣٥].

ولذلك كل من أشرك بالله وكفر فقد أنقص من حق نفسه فى العيش فى سلام فى الدنيا والآخر ولكن التوحيد هو أساس الكمال والجمال وهو الحق المبين.

وخلاصة القول أن جميع المخلوقات ومنها أرض هذه الجنة وأشجارها لم تظلم ولكن الإنسان صاحب العقل قد ظلم نفسه لما كفر بنعمة الله تعالى وأعظم نعم الله تعالى هى ذكر الله بوحدانيته فالتوحيد هو أساس كل خير والشرك أساس كل شر.





المبحث الثامن

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾

صفة الكرسي



﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾

نلاحظ فى آية الكرسى أن كلماتها ترتبط ببعضها ارتباطاً يقوى المعنى ويظهره فنجد فيها الكلمة يتوقف معناها على الكلمة التى قبلها. لذلك فقد ذكر الله سبحانه وتعالى اسمه (الله) فى أولها، فكان لابد من التعريف بهذا الاسم العظيم. فقال تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ .

يعنى لا إله إلا هو الله الحق الذى يستحق منا الخضوع والسجود والركوع. فقال عبدة الأصنام إن لنا آلهة كثيرة وهى حجة واهية منهم أمام كلام الله الحق.

فقال سبحانه وتعالى: ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .

يعنى أن الله حى وأصنامكم حجارة لا حياة فيها وهو الذى يقوم على رزقكم وحفظكم وأن أصنامكم ما هى إلا من حجارة خلقها الله لتستخدموها لكنكم تعبدونها من دونه.

فواصلوا العناد وقالوا نعبد الأحياء من الملوك والسلاطين فى الأرض، فقال سبحانه وتعالى إن هؤلاء الأحياء حياتهم من الله، ويأخذهم نومهم بعيداً عن مصلحة رعاياهم، فالسلطان منهم إذا قهره النوم أصبح عليه النوم هو السلطان، لذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾ .

وكل ما تعبدون من ملوك الأرض ينامون فلا يصلح أن تتخذوا منهم آلهة، لأن الإله لا يصح أن ينام.

فزاد عنادهم وقالوا سنعبد الملائكة فى السماء ليكونوا شفعاء لنا، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ . يعنى أن الله سبحانه وتعالى يملك ما فى السماوات من ملائكة، فهم عباد الله المكرمون، يعبدونه قياماً ركوعاً وسجوداً، وهو سبحانه وتعالى يملك ما فى الأرض كذلك من ملوك وسلاطين .. وبعدما علمتم كل هذا ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ .

وهو سبحانه وتعالى:

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾.

يعنى ذلك من الذى يتجاسر بعد ذلك أن يشفع عند الله لمخلوق إلا بإذنه وهو الذى وصف نفسه بالعلم المطلق لكل ما فى السماوات وما فى الأرض، ولكل من الشافع والمشفوع له، لأن الشافع من الممكن أن يشفع لشخص لا يعلم أنه لا يستحق الشفاعة، أما الله سبحانه وتعالى فهو يعلم ما يعملون فى حاضرهم ومستقبلهم وفى ماضيهم، ويعلم من يستحق الشفاعة فيأذن له بذلك، لأن الإنسان يعلم جانباً ولكن لايحيط بجميع الجوانب ، ولا يعلم باطن الشىء أو ما وراء الغيب، أما الله سبحانه وتعالى أحاط بكل شىء علماً، ومن هنا يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾.

وقول الله سبحانه وتعالى جاء مرتبطاً بما قبله من حديث عن العلم الذى هو أساس الحكم الصحيح على الأشياء، وهو أساس دوام الحكم والملك ، ومع أن الله سبحانه وتعالى يعلم بكل شىء عن الخلق، لكنهم لا يعلمون أى شىء إلا بما شاء أن يعلمهم به ، كما قالت الملائكة:

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[البقرة: ٣٢].

إن الله سبحانه وتعالى من سعة علمه فإنه لا يعطى علمه إلا بما شاء لمن يشاء، ولمن يستحق ، ولمن شاء أن يجد ويجتهد.

لذلك كله فإن معنى قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾.

يعنى وسع علمه، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى قال لنا أنه يملك ما فى السماوات وما فى الأرض، وهذا الملك يتطلب العلم الواسع للحفاظ عليه، لذلك فعلم الله أوسع من كل شىء، ومن السماوات والأرض. ذلك لأن الملك دون علم يفنى ولا يستمر، فهو سبحانه وتعالى وسع علمه وجهده السماوات والأرض، فهو بعلم ما ينزل من السماء وما يلج فى الأرض، وهذا العلم هو أساس الملك، وهو

العليم الحكيم، ذلك لأن العلم بدون حكمة كالفرس المدلل الجموح التى تؤدى بصاحبها إلى التهلكة ، ذلك أنها بدون لجام أو حكمة للتحكم فيها، فالعلم يلزمه الحكمة دائماً.

والعلم خضعت له جميع المخلوقات، فقد سجدت الملائكة لآدم لعلمه، وخضع ملك مصر ليوسف عليه السلام لعلمه، كما أن موسى عليه السلام النبى خضع للخضر الولى لعلمه. وما فى السماوات وما فى الأرض قد سجدوا للَّه سبحانه لأنه سبحانه وتعالى وسع كرسيه السماوات والأرض، فلا يخرج عن علمه أى مخلوق ، فكان حكمه فى علمه سبحانه وتعالى، لأن الحكم بعد العلم عدل.

ونحن فى الدنيا نُحْكَم بشرع اللَّه، وفى الآخرة تُحْكَم بعرش الله، ومن بديع اللغة العربية والمعجزة القرآنية، فإننا نجد أن كلمة عرش هى مقلوب كلمة شرع التى نحكم به فى الدنيا، وإذا انقلبنا ورجعنا إلى الله فى الآخرة، انقلبت الكلمة كذلك، فتحولت من شرع إلى عرش، والعرش رمز الحكم، وهو إشارة للملك والسلطان، لا إلى مقر أو إقامة، وإن إضافة الكرسى أو العرش إلى الرحمن إنما هو إشارة إلى أن الحكم للَّه وحده، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا** ﴾[**الشمس**:١٣] ، وبذلك نرى أن إضافة المخلوق إلى الله هو تشريف للشىء من اللَّه.

إن آية الكرسى سميت بهذا الاسم ذلك لأن كرسى الشىء هو أساسه، وأن أساس الدين هو التوحيد، ومن يسأل عن اتساع الكرسى وحجمه نقول له إن الكرسى يفوق كل تصور، وهو أبعد من كل خيال، وكل ما خطر ببالك، فاللَّه أولى بذلك، ويقول لنا حديث رسول الله ﷺ ذلك المفهوم.

حدثنا عبداللَّه بن يوسف أخبرنا الليث قال حدثنى عقيل عن ابن شهاب قال: سمعت أبا سلمة قال: أخبرنى جابر بن عبدالله رضى الله عنهما أنه سمع النبى ﷺ يقول: «**ثم فتر عنى الوحى فترة بينما انا أمشى سمعت صوتاً فى السماء فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى قد جاءنى بحراء قاعد على**

كرسى بين السماء والأرض فجئت أهلى فقلت زملونى زملونى فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾»

[البخارى - كتاب بدء الخلق]

قال أبو سلمة : والرجز الأوثان.

إننا قد تعلمنا من هذا الحديث وعلمنا أن كرسى جبريل عليه السلام كان هذا حاله وأنه بين السماء والأرض ذلك يجعلنا لا نفكر فى اتساع وحجم الكرسى لعرش الله لأنه إذا كان كرسى الملك جبريل هكذا فمن يؤكد أن كرسى العرش لا نهاية له ولا يحيط العلم أو الفكر البشرى به شيئاً ولا يحيطون بشىء من كرسيه لأن الكرسى هو علمه لأن السماوات والأرض لو وضعوا فى الكرسى لكانت السماوات والأرض بالنسبة للكرسى كحلقة صغيرة فى فلاة (صحراء واسعة).

ولكن الله سبحانه وتعالى قد ذكر لنا الكرسى والعرش ذلك لكى نتلهى ونشغل بهما عن خطورة البحث فى ذات الله سبحانه وتعالى.

ولذلك لا يجب أن نتساءل كثيراً على أشياء يستحيل الإحاطة بها لكيلا يؤدى بنا التساؤل إلى مرحلة الشك أو التذبذب الإيمانى.

سئل الإمام على رضى الله عنه أين اللَّه؟! فقال أيها السائل أين تدل على المكان وكان الله بلا زمان ولا مكان فخلق بقدرته الزمان، وأوجد المكان وهو على ما عليه كان وأعلم أن الله ليس من شىء ، ولا فوق شىء، ولا تحت شىء ولا بين شىء إذ لو كان من شىء لصار مخلوقاً ولو كان فوق شىء لصار محمولاً ولو كان تحت شىء لصار مقهوراً ولو كان بين شىء لصار محصوراً واقرأ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

لذلك كله ختم الله آية الكرسى بقوله تعالى وهو العلى العظيم حتى لا نظن أنه سبحانه وتعالى فوق الكرسى لذلك فهو أعلى من ذلك وأعظم.

وقد جاء فى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خالق كل شىء فمن خلق الله»؟! [البخارى - كتاب الاعتصام].

لقد كره الرسول الكريم كثرة السؤال فى أشياء لايجب السؤال عنها. وإن كثرة السؤال مع وضوح الإجابة من حولنا هو الدليل على التشكك والتذبذب فى الدين أما لو قلنا إن الكرسى هو الكرسى المادى المجسم وكذلك العرش إنه عرش مادى له أبعاد لعرفنا أن صاحب العرش محدود وتنزه الله سبحانه وتعالى عن الجسمانية أو المادية ولكن العرش هو رمز للحكم لقوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾[البروج: ١٥] يعنى حكم دائم لا يزول وليس المقصود المبنى ولكن المعنى ودوام حكمه من سعة علمه فوسع علمه السماوات والأرض وقال سبحانه وتعالى على عرش بلقيس ملكة اليمن: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾
[النمل: ٢٣]

وكان ذلك هو رأى الهدهد فى الملكة بلقيس وهو أن هذه المرأة تملك كل شىء، ويحفظ هذا الملك حكم عظيم ولكن الهدهد قال على عرش الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[النمل: ٢٦].

لنعلم أن كل ملك فى الدنيا له عرش والعرش له كرسى ولكن الله سبحانه وتعالى ملك الملوك هو رب العرش العظيم، ولا يصح المقارنة بينه وبين عرش ملك فى الدنيا إنه سبحانه وتعالى وسع كرسيه السماوات والأرض وإننا نجد أن عفريتاً من الجن عند سليمان عليه السلام كانت قوته أقل بكثير من الذى عنده علم الكتاب فالعلم هنا هو الأقوى من الماديات أو قوة المردة من الجن: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[النمل: ٣٩]. استخدمت القوة ولكن كان الذى عنده علم من الكتاب أسرع وأقوى بعلمه تحقيقاً لقوله الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾
[النمل: ٤٠]

وهذا الذى عنده علم من الكتاب وليس الكتاب كله هو أقوى وأسرع بكثير من الماد القوى (عفريت من الجن) إن علم البشر له بداية ونهاية ولكن علم الله سبحانه ليس له حدود لذلك فمن السهل عليه حفظ السماوات والأرض ولا يتعبه ذلك. والسماوات والأرض ضعفت أن تسع حب الله وعلمه ووسعه قلب عبده المؤمن.

«إن السماوات والأرض ضعفت عن أن تسعنى ووسعنى قلب المؤمن»

[رواه أحمد عن وهب بن منبه]

إن علم الله سبحانه وتعالى لا يقتصر على اتجاه واحد إنما علمه سبحانه محيط بكل شيء وبكل الجوانب ويعلم ظاهره وباطنه بل أن علمه أوسع من كل شيء لذلك فأى جهة نتجه فيها إلى الله للعبادة أو الدعاء نجد الله تجاهنا، لأن الله واسع عليم.

ومن علم الله الواسع أنه يعلم ويرى أفعال المشركين واليهود من قبل أن يفعلوها ولا ينتظر فعلهم السيء حتى يحدث منهم ثم يحاسبهم إنما هو سبحانه يعلم الفعل منهم من قبل أن يحدث ويقول الله تعالى.

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[البقرة: ٩٦].

هذا الخطاب فى الآية الكريمة للمؤمنين فيقول لهم الله سبحانه وتعالى أعلموا أن اليهود والمشركين أكثر الناس حرصاً على حياتهم والذين أشركوا يود الواحد منهم لو يعمر فى الدنيا ألف سنة ويقول الله تعالى مهما يعمر فذلك لن يبعده عن النار فهو داخلها مهما عاش فى الدنيا.

ويأتى بعد ذلك بلاغة القرآن الكريم التى تدل على أن الله سبحانه وتعالى يرى ويبصر ظاهراً وباطناً بما يعمل المشرك فيقول سبحانه وتعالى:﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[البقرة: ٩٦].

ولم يقل سبحانه وتعالى والله بما يعملون بصير ذلك لأن رؤية الله لأعمالهم الخسيسة سبقت الفعل فى الحقيقة وسبقت ما يعملون فى الآية الكريمة وجاءت كلمة (بصير) قبل كلمة (يعملون) ولأن الخطاب من الله موجه لنا نحن لنرى أفعال اليهود والمشركين الخسيسة فقال سبحانه بما يعملون هم ولم يقل «بما تعملون» لأن هذه الكلمة سوف تدخلنا تحت عملهم هم ولذلك قال (بما يعملون) يقصدهم بالعمل ويقصدنا بالخبر لذلك لما قال سبحانه وتعالى (بما يعملون) فقصد الله سبحانه أن يشير لنا عليهم بأن الله يعلم بأعمالهم قبل حدوثها، وهذه سعة فى العلم لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى.

إن الله سبحانه وتعالى من سعة علمه أنه يعلم بالسؤال من قبل أن يقال ويجيب عليه فى كل زمان يقول الله تعالى﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ ﴾[الكهف :٥] .

إنه لما قال سبحانه وتعالى ما لهم به من علم أى لا يعلمون عما يقولون على اللّه فإن المتوقع أنهم سيقولون فى كل زمان لقد جاء لهم العلم من أبائهم لذلك أراح الله نبيه من عناء الإجابة ووضع فى الآية الكريمة الإجابة فقال: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ﴾ فقد نفى الله العلم عن المصدر فامتنع علم من قال اتخذ الله ولدا وهذا يدل على سعة علم الله بالسؤال من قبل أن يقال لذلك وضع الإجابة فى نفس الآية الكريمة ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ [الكهف: ٤٣]

قال سبحانه وتعالى إن صاحب الجنة الذى كفر بنعم الله فدمر الله جنته وقال عنه لم تكن له فئة ينصرونه من دون الله ولعلم الله سبحانه وتعالى أنهم سيقولون هذا لم تكن له فئة أو جماعة تسانده فما الحال لو كانت له فئة تنصره فأحكم الله آياته وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ .

يعنى لو كانت له فئة ما كان فى يوم من الأيام منتصراً على الله سبحانه وتعالى وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٩، ١٠]

فلو قال الله سبحانه وتعالى (فما له من قوة) فقط لسأل السائل وقال إن هذا ليس له قوة ذاتية فما هو الحال إذا استعان بقوة غيره لتنصره فقال تعالى قبل أن يسأل السائل (ولا ناصر) يعنى حتى لو استعان بقوة غيره فلا ناصر له.

صفة الكرسى:

قال رسول الله ﷺ « **الكرسى لؤلؤة والقلم لؤلؤة وطول القلم سبعمائة سنة وطول الكرسى حيث يعلمه إلا الله**» وروى حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة – وهو عاصم بن أبى النجود – عن ذر بن حبيش عن ابن مسعود قال: بين كل

سماءين مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابع وبين الكرسى خمسمائة عام، وبين الكرسى وبين العرش مسيرة خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء والله فوق العرش يعلم ما أنتم فيه وعليه، يقال: كرسى والجمع الكراسى، وقال ابن عباس: كرسيه علمه، ورجحه الطبرى، قال: ومنه الكراسة التى تضم العلم؛ ومنه قيل للعلماء: الكراسى؛ لأنهم المعتمد عليهم؛ كما يقال: أوتاد الأرض.

قال الشاعر:

يحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسى بالأحداث حين تنوب

أى علماء بحوادث الأمور، وقيل: كرسيه قدرته التى يمسك بها السماوات والأرض، كما تقول: اجعل لهذا الحائط كرسياً، أى ما يعمده، وهذا قريب من قول ابن عباس فى قوله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ قال البيهقى : وروى عن ابن مسعود وسعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ قال: علمه ، وسائر الروايات عن ابن عباس وغيره تدل على أن المراد به الكرسى المشهور مع العرش.

وفى رواية أسبط عن السدى عن ابن مالك، وعن أبى صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمدانى عن ابن عباس، وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود عن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فى قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ فإن السماوات والأرض فى جوف الكرسى والكرسى بين يدى العرش، وأرباب الإلحاد يحملونها على عظم الملك وجلال السلطان، وينكرون وجود العرش والكرسى وليس بشىء، وأهل الحق يجيزونهما؛ إذ فى قدرة الله متسع فيجب الإيمان بذلك، قال أبو موسى الأشعرى: الكرسى موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل. قال البيهقى: قد روينا أيضاً فى هذا عن ابن عباس وذكرنا أن معناه فيما يرى أنه موضوع من العرش موضوع القدمين من السرير، وليس فيه إثبات المكان للَّه تعالى، وعن ابن بريدة عن أبيه قال: لما قدم جعفر من الحبشة قال له رسول الله ﷺ :**«ما أعجب شىء رأيته»**؟ قال: رأيت امرأة على رأسها مكتل طعام فمر فارس فأذراه فقعدت تجمع طعامها، ثم التفت إليه فقالت له : ويل لك يوم يضع الملك كرسيه فيأخذ

للمظلوم من الظالم! فقال رسول الله ﷺ تصديقاً لقولها: «**لا قدست أمة - أو كيف تقدس أمة - لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها**». قال ابن عطية: فى قول أبى موسى «الكرسى موضع القدمين» يريد هو من عرش الرحمن كموضع القدمين من أسرة الملوك، فهو مخلوق عظيم بين يدى العرش نسبته إلى كنسبة الكرسى إلى سرير الملك، وقال الحسن أبى الحسن: الكرسى هو العرش نفسه؛ وهذا ليس بمرضى، والذى تقتضيه الأحاديث أن الكرسى مخلوق بين يدى العرش والعرش أعظم منه، وروى أبو إدريس الخولانى عن أبى ذر قال: قلت يا رسول الله، أى ما أنزل عليك أعظم؟ قال: «**آية الكرسى -ثم قال - يا أبا ذر ما السماوات السبع مع الكرسى إلا حلقة ملقاة فى أرض فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة فى الحلقة**» [أخرجه الأجرى وأبو حاتم البستى فى صحيح مسنده والبيهقى وذكر أنه صحيح]، وقال مجاهد: ما السماوات والأرض فى الكرسى إلا بمنزلة حلقة ملقاة فى أرض فلاة، وهذه الآية منبئة عن عظم مخلوقات الله تعالى، ويستفاد من ذلك عظم قدرة الله عز وجل إذ لا يؤده حفظ هذا الأمر العظيم.

ونستطيع أن نستخلص خصائص الكرسى فيما يلى:

١ - خلق الله العرش والكرسى من نوره تبارك وتعالى، والعرش ملتصق بالكرسى أى تحت العرش وللعرش ألسنة تسبح، وله ملائكة يحملونه.

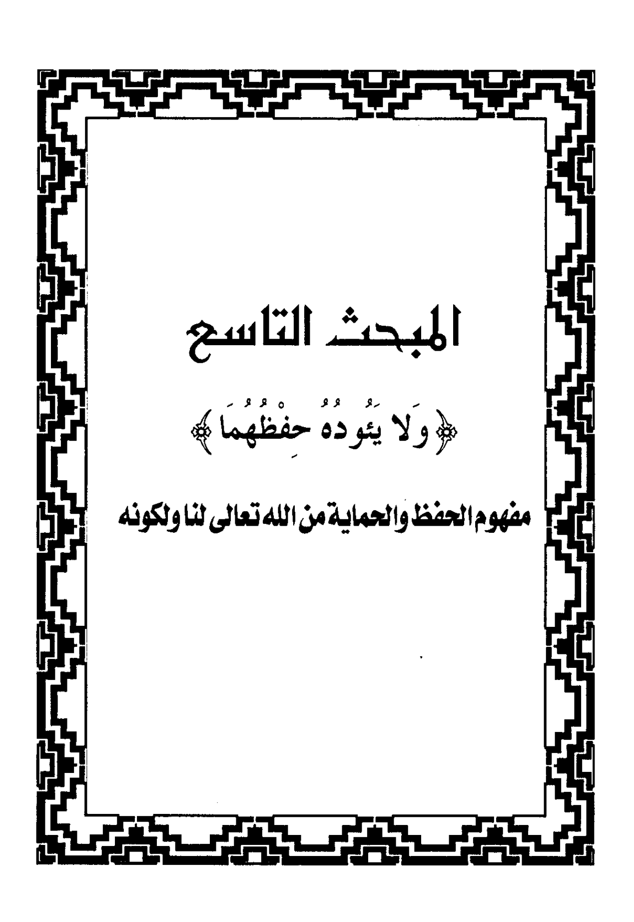
٢ - موضع الكرسى من العرش مثل الحلقة فى أرض فلاة.

٣ - قدر السماوات فى خلق العرش مثل قبة فى صحراء.

٤ - لا يعلم طول الكرسى ومداه إلا الله سبحانه وتعالى.

٥ - الكرسى موضع القدمين، وله صوت ثقيل.

٦ - السماوات السبع والأرضين السبع إذا بسطن تم وصلهن بعضهن إلى بعض ما كن فى سعة الكرسى إلا بمنزلة الحلقة فى الفلاة فسبحان الله الذى وسع كرسيه السماوات والأرض.



المبحث التاسع

﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾

مفهوم الحفظ والحماية من الله تعالى لنا ولكونه



﴿ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾

ويقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[فاطر: ٤١].

إنه تبارك وتعالى حليماً على من كفر إلى أن يؤمن بالله حتى إذا تاب ورجع إلى الله فيجده حليماً غفوراً لذلك كله كانت آية الكرسى هى الآية التى تعرفنا بوحدانية الله تعالى لنصل بهذا العلم إلى درجة الرشد وهو تمام العلم بالله وبوحدانيته سبحانه لكى لا يكون يعد آية الكرسى مجالاً للشك.

إن آية الكرسى تعنى آية القاعدة الأساسية للدين لما فيها من توحيد خالص يقضى على كل ما يدعون من آلهة كاذبة وان استقامة الأساس وقوته يترتب عليه استقامة الأقوال والأفعال بعد ذلك فالإنسان الذى لايملك التوحيد الذى جاء فى آية الكرسى فإن عمل يعمله بعد ذلك لا ينفع وأى بناء على غير أساس من التوحيد فإن البناء كله ينهار ولا فائدة منه.

أما الذى يبنى قواعد الإسلام على أساس من التوحيد فإن إسلامه يدوم ولا ينهدم أبداً لأنه بنى على أساس سليم وقوى.

ولما وصل البيان إلى القواعد الأساسية للتوحيد فى أدق جوانبه، ووضح لنا صفات الله التى لا يشاركه فيها أحد قال لنا الله بعد ما سبق أنكم إذا دعوتم للدين الحق والتوحيد الصحيح فإنى أدلكم على الدعوة السليمة فقال تعالى: «لا إكراه فى الدين» بعد ما تبين لكم الرشد من الغى وفرقتم بينهما فلا تكرهوا أى إنسان على الدخول فى دين الله.

نفهم من ذلك أن بداية سورة البقرة كانت فيها القصص القرآنى الذى يختلط بالتوحيد ثم جاء فيها التشريع المختلط بالتوحيد أيضاً ثم أتت آية الكرسى لتبين لنا

القاعدة الأساسية للدين وهو التوحيد الخالص الذى هو أساس كل قول أو عمل فيجب على الداعية أن يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة دون أن يكره أحداً على الدخول فى دين الله ولا يكرهه أحد على ترك دعوته إلى دين الله تعالى يعنى لا تكرهون أحداً على الدخول فى دينكم ولا تعطون الفرصة لأحد ليعمل على إخراجكم من دين الله بالإكراه بعد أن تبين لكم الرشد من الغى فى آية الكرسى بل تمسكوا بهذا الدين وتمسكوا بآية الكرسى قاعدة التوحيد وأساسه فإنها العروة الوثقى التى لا تنفصل عنكم أبداً ولا تنفصلون عنها.

وإن فى قوله تعالى﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾.

نجد فيه الحفاظ على كرامة الإنسان وحرية رأيه وفكره وحريته فى اختيار دينه لكيلا يتركه بعد اقتناعه به بالموعظة الحسنة، وهذا يدل على أن الدين الإسلامى فيه السماحة والعفو والحكمة تقول إذا أردت أن تختار فاختر ألا تختار يعنى «أترك الاختيار فى الدين لله سبحانه وتعالى تحقيقاً لقول الله تعالى».

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[البقرة: ١٣٢].

إن قول سيدنا إبراهيم لربه «أسلمت ربه العالمين» هذه العبارة وصى بها إبراهيم بنيه ونجد هنا يعقوب عليه السلام يوصى بها أبناءه ويقول لهم يا بنى إن الله اصطفى لكم أى اختار لكم أحسن الاختيارات وهو الدين فحافظوا على هذا الاختيار حتى الموت وهذا فيه تكريم لكم لأن الله هو الذى اختار لكم وهذه خصوصية من الله. وقد فعلت السماحة والعفو وعدم الإكراه أفضل مما فعله السيف وبهذه السماحة دخل فى الإسلام أكثر الناس فى بلاد الصين وإندونيسيا وغيرها دون إكراه وبذلك فعل العفو أفضل مما يفعله السيف لذلك فمن يؤمن بآية الكرسى تكون له الفاصل القوى الذى يفصله عن الشرك والكفر وعن الشك نهائياً وهذه الآية الكريمة تصل بالمؤمن. إلى مقام الرشد وهو تمام العلم والإيمان بالله.

ولذلك كانت آية الكرسى هى المشار إليها بأنها العروة الوثقى والتى إذا تمسكنا بها لا نضل ولا نسقط بعدها أبداً وبذلك فقد ربط القرآن الكريم بين كلماته وبين آياته

لذلك كان يجب على كل من آمن بآية الكرسى أن يقرأ كلماتها بقلبه قبل لسانه طالباً بها من الله الحماية من خطر الشيطان الوسواس الخناس ومن خطر الإنس والجان لأنه سبحانه وتعالى قد حفظ السماوات والأرض بها.

نفهم من آية الكرسى أن الكرسى هو رمز الحكم والسلطان على علم بكل ما يجرى فى السماوات والأرض بل إن الله سبحانه وتعالى وسع علمه أعظم من الأرض وما فيها وأعلى من السماوات وما فيهن فهو العلى العظيم.

وبما أن الله هو القيوم فكان لابد أن يحفظ السماوات والأرض وبما إنه لا تأخذه سنة ولا نوم لذلك كان حفظه دائم دوام أبديته سبحانه وتعالى.

ولأنه سبحانه وتعالى يعلم بكل شيء لذلك لا يؤده (لا يتعبه) حفظ السماوات والأرض ولا حفظنا.

إن الله سبحانه وتعالى يحفظ كائنات السماوات والأرض بإمدادهم بوسائل الحياة فالملائكة يجعل لهم النور غذاء وتسبيحهم خلود لأنهم يسبحون الحى القيوم الباقى.

وأهل الأرض يحفظهم من الموت فى الدنيا بالطعام والماء ويحفظ أرواحهم بالعبادات والصلوات. إن الله هو الحى القيوم الذى يعلم بكل ما يحتاجه أهل الأرض فيعطيهم من كرمه وهو على بعطائه لأنه لا ينتظر مقابل ذلك منهم لذلك فهو العلى العظيم.

إن عطاءه للشمس بنورها ووهجها إنما هو عطاء لأهل الأرض أنه سبحانه يعطى كل الخلق ولا يجهده هذا العطاء ولا يضيق بهم.

ومهما كفر الكافرون وجحد الجاحدون فلا يضيق بهم فوسعهم بالصبر عليهم ووسعهم بعد التوبة بمغفرته سبحانه وتعالى.

لقد وسع الخلق الذين تطاولوا عليه فصبر عليهم وأخر عذابهم ليوم الدين ليؤمن منهم من شاء له أن يؤمن.

يقول الله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٦]. ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥]

فإذا كان الله سبحانه وتعالى وسع علمه السماوات والأرض فهو القادر الوحيد على حفظهما تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾[الحجر: ١٦، ١٧].

إن علم الله سبحانه وتعالى بما يدبره الشياطين يجعله سبحانه يحفظ السماوات والأرض لذلك كان علينا أن نقرأ آية الكرسى وهى آية الحفظ من كل شيطان رجيم لأن الشيطان إذا وسوس للإنسان إنما يوسوس له فى سمائه وهى رأسه فإذا أفسد له سماءه فسد على أثر ذلك جسده كله فرأس الإنسان تمثل السماء لجسده الذى يمثل الأرض، فالرأس فيها الملكوت والجسد فيه الملك المادى والرأس هى السماء التى تأمر وعلى الجسد أن يصدع لما يؤمر كما أن السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع يعنى عليها الطاعة فأية الكرسى هى التى فيها الشهب التى تصيب كل شيطان يريد أن يفسد الإنسان.

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد حفظ السماوات والأرض ولا يتعبه ذلك فمن المؤكد أنه سبحانه وتعالى طالما أنه قد حفظ لهذا العالم الكبير سمائه وأرضه فهو القادر على حفظ الإنسان رأسه وجسده بآية الكرسى ولذلك فالإنسان المسلم العادى عليه أن يأخذ هذه الآية لحفظه ويستخدمها دائماً فى كل الأوقات فى أوقاته الآمنة للوقاية والتشبع بالحماية من الله بفضل هذه الآية الكريمة فتحفظه وهو فى هذه الحالة تكون حماية الإنسان فى لسانه الذى يطلق به كلمات هذه الآية فتحفظه من كل شيطان رجيم فهذه الآية الكريمة هى سهام تنطلق من لسان الإنسان المؤمن ليقضى بها على الشيطان الرجيم ويقضى بها على الشك فيستقر على اليقين أما الولى فقد حفظه الله سبحانه وتعالى بهذه الآية الكريمة فألهمه الله كلماتها فى قلبه يعنى أن الله هو الذى أدخلها فى قلب العبد المؤمن الذى كان يقولها بلسانه فأصبح بها ولياً للَّه لأنها

أصبحت فى قلبه يحفظه الله بها فى منامه وفى يقظته ليتفرغ الولى لطاعة الله فقط ولا ينشغل بغيره فالولى محفوظ من الله بآية الكرسى وبكلمة التوحيد .أما النبى فهو محفوظ من الله بالعصمة وهى أعلى درجات الحفظ أما من لم يصل إلى درجة الولاية فعلية بآية الكرسى ليجد فيها الحماية ولكى يصل بها لدرجة الولاية وهى آية صغيرة الحجم ولكنها كثيرة المنافع وهى السلاح الشخصى لكل إنسان ضد الشيطان وهى صغيرة الحجم لتكون متاحة وميسرة للجميع ولتسعف الذى يحتاج إليها فى وقت قصير ولقد حفظ الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم عنده فى لوح محفوظ وقال سبحانه وتعالى:

﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ** ﴾[البروج: ٢١، ٢٢].

يعنى أن الله سبحانه وتعالى يحفظ السماء فيمسكها بقدرته فلا تقع على الأرض وحفظها بالميزان وحفظ الأرض بالجبال وهو تعالى قد حفظ القرآن فى اللوح المحفوظ وكذلك لما نزل القرآن تعهد بحفظه فى ظل وجود وسائل التدمير فى كل عصر من العصور أو زمن من الأزمان.

فحفظه فى قلوب الناس وفى جلود الأنعام وفى الأوراق وفى عصرنا المتقدم حفظ القرآن فى شرائط تسجيل وفى أجهزة الكمبيوتر وغيرها من الوسائل التى تجعل القرآن محفوظاً من كل تخريب، تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[الحجر: ٩].

لقد نزل القرآن غير ذى عوج ثم لما نزل تعهده الله تعالى بالحفظ فقيد فى كتاب وهذا الكتاب قال عنه سبحانه وتعالى: ﴿ **الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾[البقرة: ١، ٢].

يعنى أن القرآن عندما كتب كتاباً كان ذلك الكتاب بالذات لا شك فيه فالقرآن الذى نزل غير ذى عوج هو الذى كتب فى الكتاب ولم يتبدل فالذى نزل هو الذى كتب وبعد ذلك قال تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا** ﴾[الكهف: ١].

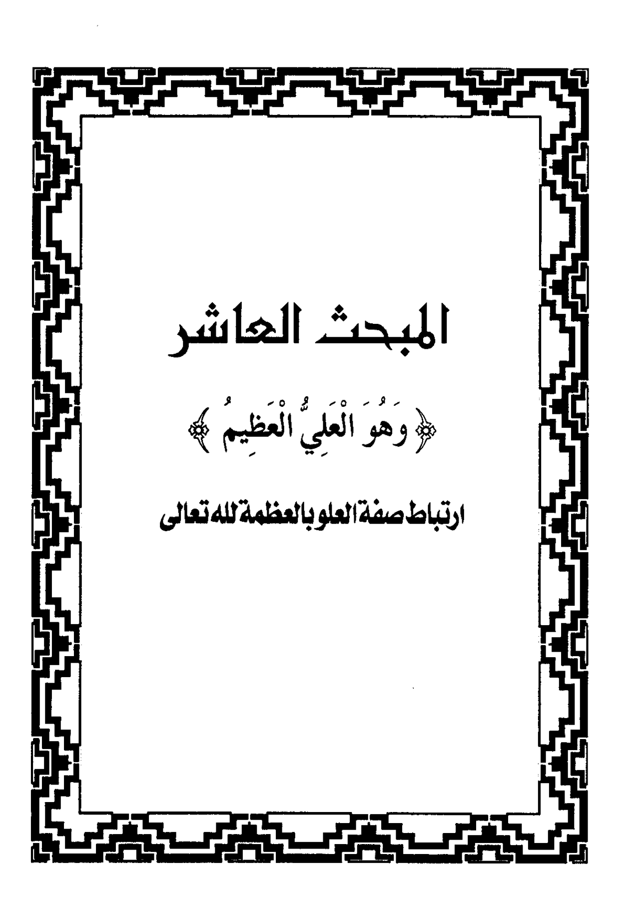
يعنى أن الله سبحانه وتعالى يستحق الحمد على أنه سبحانه لما أنزل الكتاب لم يجعل لهذا الكتاب المخلوق الذى يحرف فيه يعنى أن هذا الإنسان لم يخلقه الله أصلاً فى بادئ الأمر وقد حفظ الله قلوب أوليائه بآية الكرسى وقد وصفهم فى قرآنه أنهم ﴿ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[البقرة:٦٢] ذلك لأن الله سبحانه وتعالى منحهم جرعة التوحيد الخالص الذى فى آية الكرسى فأصبحوا لا يخافون الشيطان بل أن الشيطان هو الذى يخاف منهم.

وكذلك هم لا يحزنون ذلك لأن لهم البشرى من الله وهم فى الحياة الدنيا لأنهم من أهل الله وأهل محبته وجنته ولأن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالحى القيوم يعنى هو الذى يسمع ويرى لذلك حفظ الأنبياء بقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[طه: ٤٦].

قال الله لموسى وهارون لا تخافا لأننى أسمع وأرى فأنا القادر على حفظكما، وهو سبحانه وتعالى الحافظ لرتبة ومقام كل المخلوقات ولذلك انتظم الكون كله فلا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا ليل يسابق النهار وكل له طريق يسلكه.

حفظ لنا الله الماء فى السحاب حتى الحاجة إليه وهو سبحانه وتعالى الذى يحفظ الإنسان من الشياطين المردة بآية الكرسى ويحفظ السماء بالميزان ويحفظ الأرض بالجبال ويحفظ الأجسام من الأمراض ويحفظ الله كذلك قلوب الأولياء من التغيير والاضطراب والخوف والحزن عند نزول المحن والشدائد فيا ربنا العظيم يا من حفظت السماوات والأرض احفظنا من المعاصى والذنوب والآثام والأمراض ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن. ويقول تعالى ﴿ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾[هود: ٥٧]. ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾[سبأ: ٢١]. ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[يوسف: ٦٤].

فإذا كنت يا ربنا العظيم على كل شىء حفيظ فنحن أولى بحفظك يا كريم فاللهم احفظنا بالقرآن وبآية الكرسى يا أرحم الراحمين.



المبحث العاشر

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

ارتباط صفة العلو بالعظمة لله تعالى



﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

لما كانت آية الكرسى فيها القضاء على كل إدعاء للشرك كان ختامها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾.

ولقد أُمرنا أن نقول فى سجودنا : سبحان ربى الأعلى وكان النبى ﷺ يستفتح دعاءه بقوله: «**سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب**» [رواه أحمد والحاكم عن سلمه بن الأكوع رضى الله عنه].

إن من عرف الله العلى العظيم وعرف سموه وارتفاعه فعليه أن يضع نفسه فى أدنى الدرجات ومن تواضع لله رفعه ومن تكبر عليه خفضه ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾.

فهو العلى عن كل ما سواه بقدرته وقهره وأنه سبحانه وتعالى ليس علياً فقط بالقوة والقدرة إنما هو علىَ بعطائه وكرمه فيده هى العليا على كل مخلوقاته بالعطاء والمنة ومن عظمته وعلوه أنه يعطى ولا ينتظر المقابل من أحد إلا الشكر والحمد وكذلك فإنه سبحانه وتعالى من علوه وعظمته أنه يرزق الكافر والمشرك؛ لأن رحمته واسعة تسع المؤمن والكافر والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ... ﴾
[**البقرة**: ١٢٦]

هذا دعاء إبراهيم عليه السلام لكى يرزق الله من آمن فقط فهو عليه السلام يدعو للمؤمنين فقط ذلك لأنه رحمته حتى فى الدعاء محدودة ولكن الله سبحانه وتعالى وسعت رحمته كل الناس بل كل العالمين فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[**البقرة**:١٢٦].

إن الله سبحانه وتعالى قال لإبراهيم عليه السلام «ومن كفر» يعنى أنا الله قد أجبت الدعاء الخاص بالمؤمنين وكذلك من كفر سأرزقه فى الدنيا وإن متاع الدنيا قليل ثم أحاسبه وأدخله النار على كفره ذلك لأن إبراهيم عليه السلام متكلم فى حدود علمه المحدود أما الله سبحانه وتعالى وسع علمه ورحمته كل شيء لذلك فسيدنا

إبراهيم قد استفاد من هذا الحوار وقد علم أن الله هو رب العالمين لذلك عندما قال له ربه بعد ذلك أسلم قال فوراً أسلمت لرب العالمين ولم يقل أسلمت لرب المؤمنين وذلك تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[البقرة: ١٣١].

وبذلك كان الله علياً فى عطائه وقدرته وقهره وعلمه وهو العلى العظيم.

وقد ورد فى الخبر أن الله أوحى إلى الجبال أنى مرسى سفينة نوح على أحدكن فتطاولت كل الجبال وعلت ما عدا الجودى فهذا الجبل هو الذى خضع وتواضع لله فأكرمه الله بإرسال السفينة عليه.

وحكى بعض العلماء أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام أن يأتى الجبل ليكلمه فتطاول كل جبل طمعاً فى أن يكون هو محل المناجاة ولكن جبل طور سيناء تواضع وخضع لله فاختصه الله سبحانه وتعالى بذلك الشرف فاسم الله العلى معناه الذى يرتفع دائماً على كل ما سواه وقولنا «تعالى الله» يعنى ترفع عن كل نقص وهو سبحانه وتعالى أعظم وأجل وأعلى من كل ثناء والعلى: يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان ولأن الله هو المنزه عن التحيز فكان قوله تعالى «وسع كرسيه» يعنى وسع علمه فالله سبحانه وتعالى هو العلى العظيم بعلمه الواسع لا يحتاج لكرسى مادى مجسم أو مميز لرفعه لأن الاسم نفسه «وهو العلى» يعنى المنزه عن التحيز وأنه العظيم الذى يجعل نبيه محمداً عظيماً بقرآنه وبقوله «اقرأ» ولم يكن عظيماً بقوته أو بماله إنما كان عظيماً بالقرآن العظيم.

ويقول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[لقمان: ٣٠].

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[سبأ: ٢٣].

نلاحظ أن اسم الله العلى فى هذه الآية الكريمة يرتبط بمفهوم الشفاعة ذلك لنفهم أن الله سبحانه وتعالى يقبل الشفاعة برضاه ولا يستطيع أى مخلوق أن يشفع للآخرين دون إذنه لأن سبحانه وتعالى هو العلى الكبير وهو العلى العظيم الذى يقول: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

ولذلك فمن كان يريد العزة والرفعة فعليه التمسك بآية الكرسى لأنها آية العلو والرفعة وقد رفعها الله باسم الله المبتدأ المرفوع فى أولها ورفعها من آخرها باسمه العلى العظيم يعنى أنه سبحانه وتعالى رفعها من إحدى طرفيها فمن أراد العزة والرفعة والعلو فعليه التمسك بهذه الآية الكريمة فهى آية الشرف والعلو وهى العروة الوثقى وكل من تمسك بها نجى ورفع معها إلى أعلى لأن الله سبحانه رفعها من إحدى طرفيها ورفع ما بينهما ورفع من تمسك بها.

ويقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:١٠].

فمن يكفر بالشيطان وكل صنم (الصنم هو كل ما يعبد من دون الله سبحانه وتعالى) ثم يؤمن بالله العلى العظيم فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سبحانه وتعالى يقول بعد آية الكرسى بعد وضوح الرشد من الغى.

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٥٦].

فلما كانت آية الكرسى هى التى بينت التوحيد الخالص وفيها تمام علم الله ومنها علمنا الرشد من الغى لذلك فمن يكفر بكل ما هو غى وشرك ويؤمن بالله فقد استمسك بطوق النجاة وهى العروة الوثقى وإننا قد وجدنا أن قبل آية الكرسى آية تمهد لها وبعدها آية نفهم منها الفائدة منها:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة: ٢٥٤].

إن الله سبحانه وتعالى يخاطب الذين آمنوا فيقول يا من آمنتم بالله ثبتوا إيمانكم وأيدوه وأكدوه بالعمل الصالح وهو البذل والعطاء المادى وانفقوا النفوس والأرواح فى سبيل الله وفى سبيل نصرة دينه وهذا هو العطاء المعنوى وأنفقوا أموالكم بالزكاة والصدقة ذلك كله لأن البخيل هو بخيل فى كل شىء حتى فى الحب وفى العبادة فيقول الله تعالى اتقوا الله تعالى من قبل أن يأتى يوم القيامة الذى ليس فيه كسب بالبيع وليس فيه مكسب من ناحية الأصدقاء (الخلة) وليس فيه شفاعة يعنى لا ينضم

أحد إلى غيره لمساعدته وذلك كل ترهيب للمؤمن لكى لا يتكل على قوله لكلمة التوحيد بلسانه فقط ويترك العمل بواجباتها من زكاة وحج وصلاة وصوم.

أما الكافرون فهم الظالمون لأنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وبعد هذه الآية الكريمة التى فيها ترهيب يأتى الله سبحانه وتعالى ليذكرنا بآية الكرسى التى فيها النجاة من الكفر بالتمسك بالتوحيد الذى فى آية الكرسى (العروة الوسطى).

وبعد أن قال فى الآية السابقة لآية الكرسى إن يوم القيامة ليس فيه شفاعة قال سبحانه وتعالى أن هناك شفاعة ولكنها من بعد إذنه.

ثم يأتى الله سبحانه وتعالى بعد آية الكرسى بقوله تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لما كان هو العلى العظيم لذلك لا يقبل أن يدخل فى دينه أى إنسان بالإكراه إنما يريد من عبده المؤمن أن يدخل فى دينه مختاراً وهذا يدل على أن الإيمان لا يصح إلا بالاقتناع والرضى بعدما تبين الرشد من الغى.

ويقول الله تعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا** ﴾[الكهف: ٢٩].

الحق هو الدعوة للحق سبحانه وتعالى وبعد دعوة الحق نترك الناس للاختيار فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولكن لابد للكافر قبل أن يختار الكفر فعليه أن يختار على علم ولابد أن يعلم بمصير الذى يكفر وهى النار أعدت للظالمين الذين ظلموا أنفسهم باختيارهم الكفر وقد قال سبحانه«للظالمين» لتشمل كل من الكافر الذى ظلم نفسه بالكفر وكذلك الذى ظلم نفسه بالذنب فالاختيار وعدم الإكرام فى الدين لابد منه ولكن لابد أن تختار بعد توفر المعلومات الصحيحة للاختيار لديك.

ولا نفعل كما فعل أبو البشر آدم عندما اختار الأمانة فكان ظلوماً جهولاً لأنه اختار أن يحملها وكان لا يعرفها فظلم نفسه بحملها.

فإذا كانت سورة البقرة هى باب رحمة الله يدخل منه كل الناس فتكون آية الكرسى فيها هى الباب الصغير فى هذا الباب الكبير الذى يدخل منه الخاصة من الناس للحماية والوقاية من مفاتن الشرك والشيطان.

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

كتب للدكتور / أحمد عبده عوض

١- فنون اللغة «رؤية فنية، ملامح قرآنية»، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

٢- التقوى فى القرآن الكريم «دراسة لغوية وتفسيرية إحصائية»، دار الصحابة بطنطا.

٣- العدل فى القرآن الكريم «بين العلم والكون والإيمان»، المكتبة القيمة بالقاهرة.

٤- الإشارات العلمية فى القرآن الكريم «بين العلم والكون والإيمان»، المكتبة القيمة بالقاهرة.

٥- الإسلام والبعث الحضارى، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

٦- فضل التحدث باللغة العربية، والالتزام بها، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

٧- الموت حقيقة منسية - مشترك- مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

٨- مداخل تعليم اللغة العربية - معهد البحوث العلمية- دار الندى للنشر.

٩ - معالم شهر الصيام - مشترك - مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

١٠- قضايا البيئة من منظور إسلامى -مشترك- مركز الكتاب للنشر.

١١- تحقيق مخطوطة «الفرائد والقلائد» للإمام الثعالبى، مشترك.

١٢- تحقيق مخطوطة «غور الأمور» للحكيم الترمذى، مشترك.

١٣- تحقيق مخطوطة «الصراط المستقيم» للفيروز أبادى، مشترك.

١٤- الزواج بين الدين والطب- مشترك - مركز الكتاب للنشر.

١٥- المخدرات بين الدين والطب- مشترك - مركز الكتاب للنشر.

١٦- نورانيات سورة يوسف عليه السلام - تحت الطبع.

١٧- نورانيات سورة التوبة - تحت الطبع.

١٨- تعليم اللغة العربية بين الفروع والفنون - مشترك.

١٩- صفات أهل القرآن - تحت الطبع.

٢٠- دراسات فى علوم القرآن الكريم.

٢١- تحقيق مخطوطة (لطائف أهل الإلهام).

٢٢- تحقيق مخطوطة (مسائل القرآن - الرازى).

٢٣- أدب الطفل العربى رؤية إسلامية.

٢٤- الإعداد لمعجم عن الإمام النورسى - مشترك.

٢٥- تحقيق مخطوطة (بحر الكلام فى علم التوحيد).

٢٦- تحقيق مخطوطة (تاريخ المساجد الثلاثة).

٢٧- تحقيق مخطوطة (الدرة الفاخرة).

٢٨- الأخطاء الشرعية فى الأمثال العامية.

٢٩- الخط فى التراث العربى الإسلامى.

٣٠- خير الزاد فى صلاح العباد.

٣١- العقيدة والسلوك والانفصام بينهما.

٣٢- قراءة تفسيرية فى سورة التوبة (بين أهل الإيمان وأهل النفاق).

٣٣- التسامح فى الإسلام (صور ومقابلات).

٣٤- الوسطية والاعتدال فى المنهج الإسلامى.

٣٥- طاعة الله ورسوله الكريم وأولى الأمر.

٣٦- أصول المنهج العلمى عند العرب والمسلمين.

٣٧- قراءة تأملية فى فكر الإمام الغزالى.

٣٨- دور المضمون الإعلامى فى النهضة الثقافية للأمة الإسلامية.

٣٩- الإسلام والبعث الحضارى.

٤٠- اللغة العربية جامعة للفكر العربى والإسلامى.

٤١- قضايا إيمانية حول أسماء الله الحسنى.

٤٢- الحوار فى الإسلام، ودوره فى الدعوة.

٤٣- أسماء القرآن الكريم.

٤٤- التربية الإيمانية فى القرآن الكريم.

٤٥- الحوار فى الإسلام ودوره فى الدعوة والتربية الثقافية.

٤٦- حوار الحضارات والأديان فى الميزان.

٤٧- سبيل الوصول إلى بلاغة الرسول ﷺ (ثلاثة أجزاء).

٤٨- الخطرات منهجيات ومهلكات.

٤٩- خواطر قرآنية إعجازية.

٥٠- تجليات الإيمان فى حياة المسلم.

٥١- سمات المنهج العلمى والإعلامى فى الإسلام.

٥٢- القراءة العربية مدخل قرآنى.

٥٣- الكتابة العربية مدخل قرآنى.

٥٤- تدريس التربية الإسلامية.

٥٥- الرسول ﷺ فى القرآن الكريم.

٥٦- آداب المعاملات فى الإسلام.

٥٧- الأخطاء اللغوية، وخطورتها فى التحدث والكتابة.

٥٨- موجبات الرحمة - مشترك.

٥٩- عزائم المغفرة - مشترك.

٦٠- أنوار المنان فى سيدة آى القرآن - مشترك.

كتب للأستاذ / عنتر الروينى

١- إشراقات قرآنية : تمت الموافقة عليه من الأزهر الشريف بتاريخ ١٤١٦/٢/١٨هـ ، ١٩٩٥/٧/١٦م. وهو عبارة عن أبحاث قصيرة متنوعة وجديدة تبين جمال القرآن الكريم.

٢ - من أسرار سورة الكهف : وتمت الموافقة عليه من الأزهر الشريف بتاريخ١٤١٨/٣/١٦هـ ١٩٩٧/٧/٢١م. إختارته وزارة التربية والتعليم ليكون بمكتبات المدارس الثانوية بجمهورية مصر العربية ومقيدا رسمياً فى القائمة تحت رقم مسلسل ٦٩١ صـ ٢٥١ فى قائمة الكتب المختارة.

٣ - تفسير أم الكتاب (الفاتحة) وسورتى الفلق والناس: وتمت الموافقة عليه من الأزهر الشريف بتاريخ ١٤١٩/١٠/٢٢هـ، ١٩٩٩/٢/٩م. كتبت عنه مجلة الأزهر فى عدد شهر رجب ١٤١٩/١٠/٢٢هـ، ١٩٩٩/٢/٩م. كتبت عنه مجلة الأزهر فى عدد شهر رجب ١٤٢١هـ أكتوبر ٢٠٠٠ باب : دوحة الكتب صـ ١٠٨٤ فى صفحة كاملة مع صورة الكتاب تبين بعض محاسن ومميزات هذا الكتاب.

٤ - من إشراقات سورة مريم : وتمت الموافقة عليه من الأزهر الشريف بتاريخ ١٤١٩/١٠/٢٢هـ، ١٩٩٩/٢/٩م. وهو عبارة عن رؤية جديدة لهذه السورة الكريمة.

٥ - من إشراقات الحروف المقطعة : وتمت الموافقة عليه من الأزهر الشريف بتاريخ ١٤١٩/١١/٢٧هـ، ١٩٩٩/٣/١٢م. كتبت عنه مجلة الأزهر فى عدد جمادى الأولى ١٤٢٠هـ - سبتمبر ١٩٩٩م باب: دوحة الكتب صـ٧٦٥، فى صفحة كاملة مع صورة للكتاب تبين أن هذا الكتاب من الكتب النادرة وهو الوحيد الذى بحث فى معانى الحروف المقطعة الجميلة والتى كانت تختبئ فى قلب هذه الحروف والتى أثبت الكتاب أنها عبارة عن حروف عربية وليست كما يقولون أنها هيروغلوفية أو أنها غير ذلك. وبين الكتاب أن تفسير هذه الحروف المقطعة هو أرقى أنواع التفسير.

٦ - موجبات الرحمة - مشترك.

٧ - عزائم المغفرة - مشترك.

٨ - أنوار المنان فى سيدة آى القرآن - مشترك.

٩ - إعداد كتيبات متعددة على هيئة أجزاء بها تفسير جزء عم بالكامل بحوله تعالى.

رقــم الايــداع :
٢٠٠٣ / ١٤٣٣٤
الترقيم الدولى :
977 - 294 - 277- 1

مطــابــع آمـــــون

٤ الفيروز من ش إسماعيل أباظة
لاظوغلى - القاهرة
تليفون : ٧٩٤٤٥١٧ - ٧٩٤٤٣٥٦